مجلة شهرية

Issue No: 164 عدد:

April 2021 شهر نيسان

نـــــــور يسوع المسيح المســـيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Σ Ω Φ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

سِرُّ التدبيرِ الإلهي

اليوم رأسُ خلاصِنا وظهور
السِّرِ الذي منذُ الدهور،
لأنَّ ابن الله يصير ابن البتول
وجبرائيل بالنعمة يُبشِّر.
فلنهتف نحن أيضًا معه
نحو والدة الإله:
إفرحي يا ممتلئة نعمة
الرَّبُّ معك

وها أنتِ ستحبلين
وتلدين ابنًا
وتسمينه يسوع
هذا يكون عظيمًا
وابنُ العليِّ يُدعَى

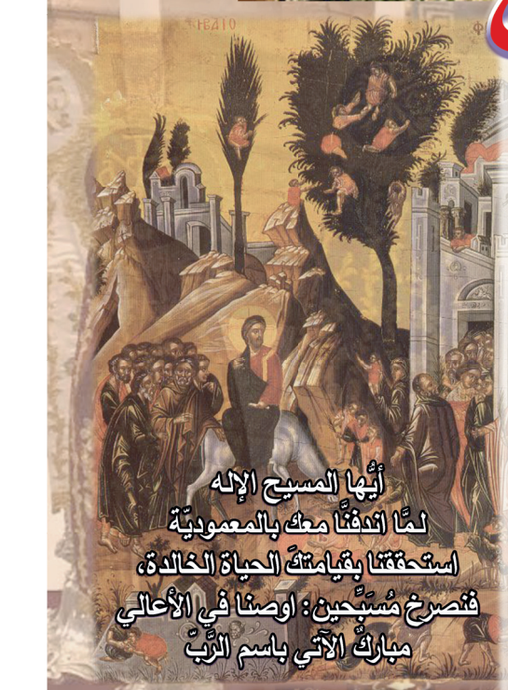

أيُّها المسيح الإله
لمَّا اندفنَّا معكَ بالمعموديّة
استحققنا بقيامتكَ الحياةَ الخالدة،
فنصرخ مُسبِّحين: أوصنا في الأعالي
مباركٌ الآتي باسم الرَّبّ

أيُّها المسيح الإله، لمَّا أقمتَ ليعازَرَ
من بين الأموات قبلَ آلامك، حقَّقتَ القيامةَ العامة.
لأجل ذلك ونحنُ كالأطفال، نحملُ علامةَ الغلبةِ
والظفر، صارخين اليكَ يا غالب الموت:
أوصنًا في الأعالي مباركٌ الآتي باسم الرَّب

وَعَمَلُ المسيحِ الخلاصيُّ

هلمُّوا خُذُوا نورًا من النور الذي لا يعروهُ مساءٌ،
ومجِّدوا المسيح الناهض من بين الأموات

https://jerusalem-patriarchate.info/

محتويات العدد

2	كنيسة الرُّوم الأرثوذكس
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	الصليب الكريم المحيي
5	------
6	------
7	إسهروا – القديس يوحنا ...
8	والدة الإله الكليّة القداسة
9	------
10	------
11	------
12	والدة الإله – عظة رقم ٢
13	-------
14	-------
15	عجيبة العذراء
16	الآلام الطوعية – الذهبي الفم
17	-------
19	-------
21	سيرة القديس نكتاريوس
22	سبت النور
22	الباب المقدس
23	ثمرة الصوم
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

الإيمان الحقيقي

«رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ» (أفسس 5:4)

✝ إنَّ من ينتسبون إلى كنيسة المسيح إنَّما ينتسبون إلى الحقّ، وأمَّا من لا ينتسبون إلى الحقّ فلا ينتسبون إلى كنيسة المسيح. ذلك أنَّنا قد ذُكِّرنا بوجوب تمييز المسيحيَّة انطلاقًا من الحقِّ ودقّة الإيمان، لا انطلاقًا من الأشخاص. (القديس غريغوريوس بالاماس).

وفي خدمة البروجيازميني في فترة الصوم الكبير، وعند نهاية الخدمة ...

فَيَخْرُجُ ٱلْكَاهِنُ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْمُلُوكِيِّ وَيَقِفُ أَمَامَ أَيْقُونَةِ ٱلْمَسِيحِ، وَيَقُولُ بِصَوْتٍ جَهِيرٍ هٰذَا ٱلْإِفْشِينَ ٱلْمَعْرُوفَ بِإِفْشِينِ وَرَاءِ ٱلْآمِينِ:

أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلضَّابِطُ ٱلْكُلِّ. يَا مَنْ خَلَقَ ٱلْبَرَايَا كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ وَبِعِنَايَتِهِ ٱلَّتِي يَتَعَذَّرُ وَصْفُهَا، وَبِكَثْرَةِ خَيْرِيَّتِهِ أَوْصَلَنَا إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْوَقَارِ، بِقَصْدِ تَنْقِيَةِ ٱلنُّفُوسِ وَٱلْأَجْسَادِ وَٱلْإِمْسَاكِ عَنِ ٱلْأَهْوَاءِ، وَعَلَى رَجَاءِ ٱلْبَعْثِ. يَا مَنْ سَلَّمَ خَادِمَهُ مُوسَى، بِوَاسِطَةِ صَوْمِهِ ٱلْأَرْبَعِينَ يَوْمًا ٱللَّوْحَيْنِ ٱلْمَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِهِ. هَبْنَا نَحْنُ أَيْضًا أَيُّهَا ٱلصَّالِحُ أَنْ نُجَاهِدَ ٱلْجِهَادَ ٱلْحَسَنَ، وَنُتِمَّ شَوْطَ ٱلصَّوْمِ **وَنَحْفَظَ ٱلْإِيمَانَ غَيْرَ مُتَقَسِّمٍ**. وَأَنْ نَرُضَّ رُؤُوسَ ٱلْتِنَانِ غَيْرِ ٱلْمَنْظُورَةِ. وَنَظْهَرَ غُلَّابَ ٱلْخَطِيئَةِ وَنَبْلُغَ ٱلسُّجُودَ لِلْقِيَامَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ غَيْرَ مَدِينِينَ. فَإِنَّ ٱسْمَكَ ٱلْكُلِّيَّ ٱلْإِكْرَامِ ٱلْعَظِيمَ ٱلْجَلَالِ مُبَارَكٌ وَمُمَجَّدٌ. أَيُّهَا ٱلْآبُ وَٱلِٱبْنُ وَٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ. أَلْآنَ وَكُلَّ أَوَانٍ وَإِلَى دَهْرِ ٱلدَّاهِرِينَ.

يشدِّد القديس باسيليوس الكبير في هذا الإفشين، على أنَّ الإيمان الرُّومي الأرثوذكسي يجب أَنْ يكونَ ثابتًا غير منقسم أو منثلم: ... وَنَحْفَظَ ٱلْإِيمَانَ غَيْرَ مُتَقَسِّمٍ. إذًا صلوات كنيستنا الرُّومية الأرثوذكسيّة مفعمة بالإيمان الثابت والعقيدة واللاوهوت الحقيقي ، غير متقسِّمٍ.

تُناشد جمعيّة نور المسيح الكهنة وجميع المؤمنين قُرَّاء هذا الإعلان، بإرسال موقع الجمعية لأكبر عددٍ ممكن من الأشخاص من خلال شبكات التواصل، ليتسنّى للراغبين في قراءة نشرات الآحاد والمجلّة الشهريّة، وخاصة لدى الأخوة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، في ظلّ هذه المرحلة مرحلة انتشار فيروس الكورونا. وكما قال ربّنا يسوع المسيح: «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ». (مت ١٠ : ٤٢)

تتمنى جمعيّة نور المسيح لجميع المؤمنين حياة روحيّة وجسديَّة سليمة.

http://lightchrist.org/bulletins.html

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

في الأحد الثالث من الصوم الكبير المقدَّس

أحد السجود للصليب الكريم المحيي ٢٢-٣-٢٠٢٠

يهتِفُ **مرنم الكنيسة** قائلًا: «اليوم تم القول النبوي لأننا نسجد في الموضع الذي فيه وقفت قَدَمَاك يا ربُّ وإذ ذقنا من عُود الخلاص نلنا العِتْقَ من آلام الخطيّة بشفاعة والدة الإله يا محب البشر وحدك.»

اليوم أيها الإخوة الأحبة تُعيِّد **كنيستنا المقدسة لعيد السجود للصليب الكريم المحيي، صليب إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**، وذلك من أجل تعزيتنا وتقويتنا لكي نجتاز **ميدان الصوم الأربعيني الكبير المقدس بتوبةٍ**.

إنَّ **صليب المسيح** ليس مجرد علامةَ ظفرٍ وانتصارٍ **على الشيطان** فقط، بل هي أيضًا تجسُّد البِرّ والعدل **في المسيح إلهنا**، وعتقنا من **فساد الموت والخطيئة**، كما يكرز بذلك **القديس بولس العظيم** قائلًا: « وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.» (كولوسي ٢: ١٣-١٥)

ويفسر **القديس يوحنا الذهبي الفم** أقوال القديس بولس الرسول إذ يقول: بأن السيّد المسيح بصليبه من جهةٍ قد عَرَّى وجرَّد الرئاسات والسلاطين، ومن الجهة الأخرى كشف عيوب قوات الشرّ وعرَّاها وأشهرها. فبهذا المعنى يتضح أنه بصليب المسيح قد نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ. (رو ٥: ١١)

وبكلامٍ آخر إنَّ الصليب الكريم يُشكِلُ علامةَ السِّر الإلهيّ **لمصالحتنا نحن البشر مع الله** كما يقول القديس بولس : «لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ.» (رو ٥: ١٠)

ومن هنا نستطيع أنّ نُدرك كيف أنَّ **صليب المسيح** هو بالحقيقة **نبعُ قوة الكنيسة وفخرها**، كما يؤكد بذلك الحكيم بولس: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غلا٦: ١٤) وبحسب **القديس كيرللس الإسكندري** أنَّ صليب المسيح قد انتصب من أجل حياة العالم وعدم الفساد.

وهذا يعني أنه **بصليب المسيح وفي صليب المسيح** نستطيع أن نحيا **في المسيح** تمامًا كما قال ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح**: « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي.» (مرقس ٨: ٣٤)

وبكلام آخر إنَّ كلمة الصليب هي قوة **الله** تمامًا كإنجيل **المسيح** الذي هو قدرة **الله** لخلاص كل من يؤمن، وذلك بحسب **القديس بولس الرسول** (١كور ١: ١٨) (رو ١: ١٦).

لهذا فإن **كنيسة المسيح المقدسة** قد دعتنا اليوم للسجود **للصليب الكريم المحيي في كنيسة القيامة المقدسة**، في **هذا الأحد الثالث من الصوم** لكي نكون مساهمين ومشاركين في قوة الصليب، لكي يؤهلنا الرَّب إلهنا أن نُعيِّد للقيامة البهيَّة اللامعة قيامة ربنا ومخلصنا **يسوع المسيح**، فبرحمة **الله** الآب **وابنه الوحيد** ومحبته وشركة **الروح القدس** لتكن مع جميعكم آمين.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الأحد الثالث من الصوم الكبير
الصَّليب الكريم المُحيي المقدَّس

فصلٌ شريف من بشارة القديس متى الانجيليّ البشير التلميذ الطاهر (متى ١٦: ٢١-٢٨)

21 مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. 22 فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً:«حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!» 23 فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ:«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».

24 حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ:«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. 25 فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. 26 لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ 27 فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. 28 اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هُهُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ».

حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ:«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي.(متى ١٦: ٢١).

✻ «حِينَئِذٍ». متى ذلك؟ عندما قال بطرس: «حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!». وأيضًا عندما أجاب الرَّبّ:«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!» لم يكتفِ الرَّبّ بهذا الانتهار بل اراد ان يُظهِر أنَّ كلام بطرس غيرُ لائق، وأنْ يُظهرَ قدر الربح الذي يُجتنَى من الآلام، لذلك

أضاف أنتَ تقول لي: «**حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!**»، أما أنا فأقول لكَ إنَّكَ بهذا الكلام الذي تمنعني فيه من سلوك طريق الآلام، لا تسيء إلى نفسك فقط، بل إنَّكَ لا تستطيع حتى ان تَخلُص إنْ لم تَكُن أنتَ مستعدًا للموتِ. قال هذا حتى لا يظنوا انه غير جدير بالآلام، وأخذَ يعلّمهم كم من الربح يُجتَنى من الأمر، وذلك ليس بكلامه السابق فقط، بل أيضًا بما سوفَ يضيفه في ما يلي. فيقول في **إنجيل يوحنا**: «24 اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. 25 مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.» (يوحنا ١٢: ٢٤-٢٥).

إلَّا أنَّ يسوع في هذا المقطع من إنجيل متَّى يُعلِّم ذلك بطريقة أعمق. لا يكتفي بالتكلُّم عن نفسه قائلًا انه ينبغي له أن يموت، بل يجعل الكلام يشمل تلاميذه أيضًا. يقول: إنَّ الربح كبيرٌ جدًا الى حدّ انه من الرهيب عليكم ألَّا تبتغوا الموت، ومن النافع جدًا ان يكون الواحد مستعدًا له. **(يربط هنا السيد المسيح بين آلامه وآلام تلاميذه)**.

كُل هذا يتّضح في الآيات التالية. أمّا في هذه الآية فهو يفحص الموضوع من منظار واحد: أُنظروا كيف يتكلّم بطريقة لا تلزمنا قطعًا. فهو لم يَقُل إنْ شئتم أم لم تشاؤا سوف تعانون الآلام، بل قال: «**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي**». انا لا أطلب منكم ذلك بالقوّة، لا أُلزمكم به، بل أدَع كلَّ واحد حرًّا في اختيار موقفه. ولذلك اقول لكم: «**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي**».

انا أدعوكم الى الخيرات لا الى السيئات والمنكرات، ولا الى الهلاك والعقاب. لذلك لا أُلزمكم. في الواقع إنَّ طبيعة الأمر بحدِّ ذاتها جديرة بأن تجذبكم اليه. من هنا فإنَّ التكلم هكذا **بحريّة** يجذبكم أكثر. الذي يستخدم **القوّة** يُنَفِّر الآخر في كثير من الأحيان، بينما الذي يترك السّامع حتى يقتنع ليتصرّف من تلقاء ذاته فجاذبيّته أكبر. **الاعتناء بالآخر يفعل فيه أكثر من القوّة**. لذلك قال الرّبّ: «**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ**» الخيرات المعروضة عليكم كبيرة الى حدّ أنَّها قادرة بحدِّ ذاتها على أن تجذبكم بإرادتكم الخاصة. في الواقع لا يستطيع أحد أن يجذب الآخر **بالقوّة** حتى ولو وضع امامه **الكنوز والذهب**. فإنْ لم يستطع جذبه بالقوّة الى هذه الخيرات الأرضيّة فبالأحرى لا يستطيع ان يلزمه بالخيرات السّماوية. إن كانت طبيعة الأمر غير قادرة على جذبكَ، لن تستحقّ العطية، وإن أُعْطيتَها لن تعرف جيدًا ماذا أخذت. لذلك يحترم **المسيح حرّيتنا** ولا يلزمنا، بل يحثّنا. يبدو أنَّ التلاميذ كانوا يتحدّثون فيما بينهم عن آلامه ويقلقون منها، لذلك يقول لهم: إنَّ الأمر لا يستحق القلق والاضطراب. إن لم تعتبروا **الآلام** مصدرًا لخيرات لا تُحصَى، وبمثابة حَدَث يؤول الى فائدتكم لن أضطرّكم على ذلك ولن أُلزمكم به. ولكن إنْ أراد أحد ان يأتي ورائي فهذا سوف أدعوه. ولا تعتقدوا أنَّ ما تفعلونه الآن هو ما أقصد باتّباعي. لا بُدَّ لكم أن تصبروا على مشقّات وأخطار كثيرة إنْ اردتم أنْ تتبعوني. لذلك لا تنتظر **يا بطرس** الأكاليل بمجرَّد اعترافكَ بي **كابن الله** وتعتقد أنَّ ذلك كافٍ لخلاصكَ، وتستريح بمجرَّد التفكير بأنَّكَ فعلتَ كُل شيء. طبعًا انا أستطيع **كابن الله** ألَّا أدعَكَ تواجه المصاعب، ولكن لا أريد ذلك من أجل خيرك. لا بدّ لكَ أنْ تُشاركني آلامي فتستحق التكريم الأكبر، كما هي حال مُنظِّم السباق. إنْ كان لديه صديق يشترك في هذا السباق لن يكلّله فقط من أجل صداقته، بل أيضًا من أجل تعبه. يفعل ذلك بالضبط لأنّه يحبّه. هكذا يتصرّف **المسيح** أيضًا مع أحبّائه. يريد أن يتقدَّموا من تلقاء أنفسهم وليس فقط أنْ يتّكلوا على مساعدته لهم.

✻ «**فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ**»: أنظروا كيف يجعل كلامه مقبولًا. إنَّه لا يَدَع الصعوبات تقتصر على تلاميذه بل يُقدِّم هذه الحقيقة المشتركة لكلّ المسكونة قائلًا: «**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ**». فليسلك الواحد هذه الطريق، أكان امرأةً أم رجُلًا أم رئيسًا أم خادمًا. ولأوّل وهلةٍ يبدو أنَّ الحقيقة المقدّمة واحدة. إنه يأتي من ثلاثةِ أمور: **أن يُنكر الواحدُ نفسَه وأن يحمل صليبه وأن يتبعني**. الأمران الأوّلان مرتبطان بصورةٍ وثيقةٍ في ما بينهما. الثالث يأتي منفصلًا. لنرَ أوّلًا ماذا يقصد بأن يُنكِر الانسان نفسه؟

لننظر اوّلًا ماذا يُقْصَدُ بالقول: أن يُنكرَ الانسان شخصًا آخرَ، وبعدها نُدرِك ما يعني بإنكاره لنفسه. من يُنكِر شخصًا مثل أخيه أو عبده أو أيّ واحد آخر، فحتى لو رآه يُجلَد أو يُسجَن أو يُقاد امام الرؤساء العامين أو يعاني أيّ ألم، لن يُسعفه أو يساعده لا تضطرب نفسُه ولا يُضحّي من أجله. كُل ذلك لأنه تغرَّب كُلّيًّا عنه. يُريد **الرَّبّ** أن نُظهر عدم اهتمامٍ مثل هذا بجسدنا حتى انه في حال جَلْده أو تعذيبه أو إحراقه أو فعل أي شيء به لن نحزَن عليه. هكذا ينبغي للواحد ان يُشفقَ على جسده. كما ان الوالدين يُشفقون في الواقع على اولادهم، فيسلّمونهم للاساتذة ويطلبون منهم أن لا يُشفقوا عليهم، هكذا يفعل **المسيح**. هو لا يقول يجب ألَّا يُشفق الواحد على نفسه، بل ذكرَ شيئًا أعظم فقال: «**أَنْ يُنكر الإنسان نفسه**» **أي ألَّا يكون له أيّ شيء مشترك مع نفسه** لا بل أن يُعرّضها للأخطار والجهادات، وموقفه في كُل هذا أن يحسب نفسه كشخص آخر بالكليّة. لم يَقُل: «لِيُنكِر» αρνησάσθω - arnisastho بل قال: «**لِيُنكِرَنَّ**» **απαρνησάσθω - aparnisastho** مستخدمًا أُسلوب التوكيد لِيُشَدِّد على فعل الإنكار.

✻ «**وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ**»: هذا ينتج عمَّ سَبَق. حتَّى لا تعتقد أنَّك تُنكر نفسك فقط بالكلام، بالشتائم الموجّهة ضدّ نفسك. يوضح **يسوع المسيح** الى أيّ حدّ يجب عليكَ ان تُنكر ذاتك: **حتى الموت، الموت المهين**. لم يَقُل لينكر نفسه حتى الموت بل قال: «**وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ**» دالًّا على الموت المُهِين، هذا ليسَ مرّةً واحدة أو مرتين بل في حياته كلّها يجب أن يقوم بذلك. يجب أن تحفظ باستمرار في ذهنك **ذكرَ الموت**، وأن تستعدّ كل يوم للذبح. ذلك أن كثيرين مقتوا الأموال والملذّات والمجد، لكنهم لم يزدروا بالموت بل خافوا من الأخطار، أمّا انا فأريد من مُجاهِدي أن يُصارعَ حتى الدم وأنْ تُؤَدِّيَ به جهاداته الى الذبح. حتى لو

اضطر إلى ان يواجه الموت المُهينَ أو اللعين أو الناتج عن شك شرّير، عليه ان يواجهه بشجاعة وقبل أيّ شيء ان يفرَحَ بذلك.

✻ «**وَيَتْبَعْنِي**»: لأنه من الجائز ان يتأ لّم الواحد دون ان يتبع **المسيح**، وعندها لا تأتي آلامه من اجل **المسيح** كما هي حال اللصوص الذين يعانون من الآلام الكثيرة، وكذلك سُرَّاق القبور. كي لا تعتقد ان مجرَّد وجود الأخطار كافٍ، يُضيف موضحًا المبرِّر أو الدافع للأخطار هذه، وهو أن تتبعَ **المسيح** فيما أنتَ تُعاني من الآلام هذه، أن تصبر عليها من **أجله** وأن تحوز سائر أنواع الفضائل. لذلك يُضيف «**وَيَتْبَعْنِي**»، حتى إذا ما واجَهَ أحد الأخطار لا يبرهن فقط عن رجولة، بل يُظهِر أيضًا تعقُّلًا ووداعةً وأشكال التقوى كافة. هذا ما يقصد بالقول أن يتبع الإنسان **المسيح** كما يجب: أن يهتم بكل أنواع الفضائل، وأن يحتمل كُلّ شيء من أجله. هناك أُناس يتألمون ويتبعون **الشيطان** واهبين أنفسهم له. أمَّا نحنُ فعلينا ان نتألّم من اجل **المسيح**، أو بالأحرى من أجل أنفسنا. اولئك يؤذون أنفسهم في هذه الحياة وفي الأخرى، أمَّا نحنُ فنربح هذه الحياة وتلك.

كيف ولا نعتبر أقصَى الجهالة ألّا نُظهر رجولة في وجه **أبناء الهلاك** خصوصًا إذا كُنَّا متأكدين في تلك اللحظة من أنَّنا نربح الأكاليل الكثيرة، وأن لدينا معونة **المسيح** بينما هم لا يعينهم أحد؟ طبعًا سَلَّمَ **المسيح** تلاميذه هذه الوصيّة عندما أرسلهم للكرازة قائلًا: «**إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا**» (متى ١٠: ٥) لأنَّ « **هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ**» (متى ١٠: ١٦)، «**وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ**» (متى ١٠: ١٨) . إلّا أنَّ الوصيَّة هنا اوسع وأقسَى. لقد اكتفَى آنذاك بذكر الموت، بينما يتكلّم الآن عن **الصليب، الصليب** المستمرّ بقوله: «**وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ**» ، ويقصد حمله **بصورة مستمرّة** «**إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي.**» (لوقا ٩: ٢٣) في كل ظرف. لا يكشف عن الوصايا الكبيرة للوهلة الأولى، بل يقدّمها بِرويّة شيئًا فشيئًا حتى لا يُدهش السامعين.

يبدو أن كلامه كان قاسيًا، ولذلك انتبهوا كيف يحاول في ما يلي ان يُليّنه فيحدّد الجوائز التي تفوق الأتعاب. لا يحدِّد الجوائز فقط بل أيضًا عواقِب الشرّ. يركّز اكثر على العِقابات، لأنَّ تعداد المكافآت لا يُسهم في التأديب أكثر ممَّا يسهمه **التهديد بالعِقابات**. فانظروا اذًا كيف يبدأ بالعِقابات وينتهي بالجوائز إذ يقول:

✻ «**فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟**» (متى ١٦: ٢٥-٢٦).

معنى تلك الكلمات هو التالي: لا أُعطيكم هذه الوصايا بداعي عدم اهتمامي، بل بسبب اهتمامي الكبير بكم، كما أنَّ الذي يهملُ في عقاب ابنه يوصله الى **الهلاك**، بينما الذي يقاصصه **يخلّصه**. قال ذلك بالضبط أحد الحكماء : «**لاَ تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ، لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لاَ يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَاوِيَةِ.**» (أمثال ٢٣: ١٣-١٤). وأيضًا : «**مَنْ دَلَّلَ ابْنَهُ فَسَيَضْمِدُ جِرَاحَهُ**» (حكمة سيراخ ٣٠: ٧). الشيء نفسه يحصل في الجيش لأنه إن كان الضابط، يشفق على جنوده يأمر ببقائهم المستمر في الثكنة، يخسر معهم رفاقهم الذين في الداخل أيضًا. لذلك من اجل ألّا يحصل الشيء نفسه عندكم، يجب ان تواجهوا الموت باستمرار. إن كانت الحرب الرهيبة على وشك النشوب، لا تبقَ أنت في الداخل بل اخرج وحارب. إنْ دخلتَ الجهاد حينئذ تعيش، ففي الحروب المدنيّة المستعدّ للذبح يبرز أقوى من الآخرين، لا يُغلَب، يخافه الأعداء، مع العلم بأنه يحارب من أجل ملك لا يستطيع أن يقيمه بعد الموت. أمَّا في تلك الحروب حيث الرَّجاء كبيرٌ، كبيرٌ بالقيامة، فالذي يقدّم نفسه للموت يُخلّصها، لأنه أوّلًا لن يؤسَر، وثانيًا وإن سقَطَ يكون انتهى الى حياةٍ أسمى.

بعد ان قال:«**فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا**» ووَضَعَ الخلاص والهلاك في الحالة الأولى وفي الحالة الثانية، يحاول ان يُظهر أنَّ الهلاك في الحالتين ليس هو نفسه ، كما انَّ الخلاص لا يتساوى في الحالتين، لأنّه بقدر ما يختلف الخلاص عن الهلاك بالقدر نفسه يختلف الخلاص في الحالتين. فيعرض الحقيقة مستخدمًا المتضادات. يقول بعدها:

✻ «**لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟**» (متى ١٦: ٢٦).

رأيتم كيف أنَّ خلاص النفس **الكاذب** هو **هلاك**. في الواقع هو أسوأ من كُل هلاك، ولا شَفاء له لأنَّه لا يوجد شيء يستطيع ان يفتديه. يقول: لا تدعني أعتقد أنَّ الذي يهرب من مثل هذه المشقات يخلّص نفسه بهذه الطريقة حتى وإن ربح العالم كلّه، لأنه ماذا يستفيد من كُلّ ذلك إنْ خَسِرَ نفسه. قُلْ لِي، إنْ كنتَ ترى عبيدك ينعمون برفاهيّة العيش وأنتَ عائش في أسوأ الشرور، تُرى ماذا تستفيد من وَضعِك كَسَيِّد؟ طبعًا لا تستفيد شيئًا. فكِّر أيضًا كذلك بالنسبة الى نفسك أيضًا. **ماذا تستفيد إن كان الجسدُ عائشًا في الغِنَى والرَّفاهيّة، والنَّفس تنتظر الهلاك الأبدي؟**

«**مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟**» . هنا يبقى في الموضوع نفسه. هل يقصد أنَّ على الإنسان أنْ يُعطِي نفسًا أُخرى بدلًا عن نفسه؟ **لا**، لأنَّكَ إنْ خَسِرتَ أموالًا يمكنك أنْ تُعَوِّض عنها بالأموال، بالبيت، بالعبيد او بأي شيء آخر من ممتلكاتك. أمَّا إنْ خسرتَ نفسك فلن تستطيع أنْ تُعَوِّض عنها بِنَفس أُخرى. لو مَلَكتَ العالم كلّه، لو كانت ملكًا على المسكونة لن تستطيع أنْ تفتدي نفسك بنفس أُخرى، حتى وان وهبتَ كُلّ ممتلكات الأرض والمسكونة كلّها.

ولماذا العجب من كُلّ هذه الأمور المتعلّقة بالنفس، طالما أنَّ السؤال نفسه يُطرح على الجسد أيضًا؟ انت عندك الجواهر الثمينة لن تستطيع ان تفتدي جسدك المريض وغير القابل للشفاء، حتى ولو مُنحتَ المُلْكَ كلّه وأضفتَ عليه أجسادًا لا تُحصَى ومُدنًا وأموالًا. هكذا فكّر ايضًا بالنسبة الى النفس، لأنَّ الموضوع مطروحٌ بالنسبة إليها اكثر من الجسد. دَعْ **كُلَّ شيءٍ جانبًا واهتمَّ أوّلًا بنفسِكَ.**

إسهـــروا

للقديس يوحنا مكسيموفيتش (أسقف شانغهاي ثم أسقف سان فرانسيسكو للرُّوس الأرثوذكس. صانع للعجائب، تنيح عام ١٩٦٦م، جسده لم يَرَ فسادًا وهو موجود بكنيسته بمدينة سان فرانسيسكو بأمريكا، وقد أعلنت قداسته من قبل الكنيسة الأرثوذكسية).

أُثْبُت في السَّهر الرُّوحي لأنك لا تعلم متى يدعوك **الرَّبّ** إليه. في حياتك الأرضية، كُن مستعدًا في أي لحظة لكي تعطيه حسابًا. إحْذَر ألَّا **يصطادك العدو في شباكه، وألَّا يخدعك ويجعلك تسقط في التجربة.** أفحص ضميرك يوميًا، وأمتحن نقاوة أفكارك ونياتك.

كان هناك ملك عنده ابن **شريرٌ**. وإذ لم يكن للملك أي أمل فيه حتى يتغير للأفضل،حكم الأب على الابن بالموت. أعطاه شهرًا للاستعداد. مرَّ الشهر سريعًا، فاستدعى الأب الابن. دُهِشَ الأب عندما رأى ابنه الشَّاب متغيِّرًا بشكل ملحوظ، كان وجهه شاحبًا ومخطوفًا، بل وجسمه بالكامل تظهرُ عليه المعاناةُ.

سأله الأب: «كيف يظهر عليك مثل هذا التحول يا ابني؟»

أجابه الابن: «أبي وسيِّدي، كيف لا أتغير وكل يوم يمر علي يجعلني أقرب إلى الموت؟».

قال الملك: «جيد يا بُني، بما أنك من الواضح قد عدت إلى صوابك، سوف أعفو عنك. لكن يجب عليك أن تبقي على هذا الطبع المُتَيقِّظ كل أيام حياتك».

أجابه الابن: «يا أبي هذا مستحيل. كيف يمكنني أن أقاوم الإغراءات والتجارب التي لا تحصى؟».

ثم أمر الملك بإحضار وعاء مملوء بالزيت، وقال لابنه: «خذ هذا الوعاء وأحمله وَسِر في كل شوارع المدينة. سوف يتبعك جنديان بسيوف حادة. إذا سكبت من الوعاء ولو قطرة واحدة، سوف يقطعون رأسك».

أطاع الابن. وبخطوات حذرة مشى في كل الشوارع، والجنديان يرافقانه، ونجح في ألَّا يسكب أي قطرة.

عندما رجع إلى القلعة، **سأله الأب**: « يا بُني، ماذا رأيت أثناء سيرك خلال المدينة؟». **أجابه**: «لا شيء».

قال الملك:«ماذا تعني بلا شيء، اليوم عطلة لا بدَّ أنك رأيت المحلات بكافة المعروضات، العديد من العربات، الحيوانات، الناس..».

أجابه الابن: «أنا لم ألاحظ أي شيء. كل انتباهي كان مركزًا على الزيت الذي في الوعاء. كنت خائفًا لئلا أسكب أي قطرة فأفقد حياتي».

قال الملك: «هذا صحيح يا بني. أَبْقِ هذا الدرس في عقلك طول أيام حياتك. كُن يقظًا على روحك كما كنت اليوم يقظًا على الزيت الذي في الوعاء. **حَوِّل أفكارك بعيدًا عن الأشياء العابرة سريعًا واجعل تركيزها في ما هو أبدي.** لن يتبعك جنود مسلحون، بل سوف يتبعك **الموت، الذي نقترب منه أكثر فأكثر كل يوم. كُن حَذِرًا جدًا في حراسة روحك من كل التجارب المدمِّرة».**

أَطاع الابن أبوه وعاش سعيدًا.

«اِسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوَّوْا. » (١ كو ١٦:١٣).

يَمنحُ الرسول هذه النصيحة المهمة للمسيحيين، لكي يوجِّه انتباههم **للخطر الذي في العالم**، فيطلب منهم فحص قلوبهم باستمرار، لأنه بدون ذلك من السهل على الشخص **أن يجلب الدمار لنقاوة وتوهُّج إيمانه**، وبدون أن يدري يعبر إلى **جانب الشَّر والجحود.**

وكما أنه من الاهتمامات الأساسية أن يراعي الإنسان صحته الجسدية ويتجنب أي شيء يضرها، كذلك يجب أيضًا على اهتمامنا الروحي أن يسهر وينتبه لأي شيء يمكنه أن يضر حياتنا الروحيّة وعمل الإيمان والخلاص. لذلك إمتحن بعناية ويقظة دوافعك الداخلية: هل هي **من الله أم من روح الشَّر؟ إحذر من الإغراءات التي في هذا العالم، ومن الأصدقاء الدنيويين. إحذر من التجارب الداخلية المخفية التي تأتي من روح اللامبالاة والإهمال** في الصلاة، **ومن تناقص** المحبة المسيحية.

إذا انتبهنا إلى عقلنا، سوف نلاحظ سيلًا من الأفكار المتعاقبة. هذا السيل مستمر. أنه يتسابق في كل مكان وفي جميع الأوقات: في البيت، في الكنيسة، في العمل، عندما نقرأ، عندما نتحدث. وكما يكتب **القديس ثيوفان الناسك**، أنه عادة يدعى «**تفكير**»، لكنه في الحقيقة **إضطراب عقل، تبعثر، فقدان التركيز والانتباه.** الشيء نفسهُ يحدث للقلب. هل سبق وراقبت حياة القلب؟ حاول ذلك ولو لفترة قصيرة وستنتبه لما تجد: **شيء غير سار يحدث فتصير غاضبًا، بعض سوء الحظ يحدث فتشفق على نفسك، ترى شخصًا ما تكرهه فتدفق العداوة داخلك، تقابل شخصًا ما نظيرًا لك لكنه اجتازك بعض الشيء في السُّلَّم الاجتماعي فتبدأ تحسده. تفكر في مواهبك وقدراتك فتبدأ بالشعور بالفخر والتكبر ... كل هذا نتانة: مجد باطل، شهوة جسدية، شراهة، كسل، حقد الواحد على الآخر .. إنها تُحطم القلب.** وكل هذا يمكنه العبور خلال القلب في ظرف دقائق. لهذا السبب، قال **أحد النساك** – وهو محقٌّ في ذلك – «**قلب الإنسان مملوء بالثعابين السامة. فقط قلوب القديسين هي الخالية من هذه الثعابين أو الأهواء**».

لكن مثل هذه الحرية تُحقَّق فقط بواسطة عملية طويلة وصعبة من المعرفة الذاتية، من خلال العمل الدؤوب على النفس، والسهر واليقظة تجاه حياة الإنسان الداخلية أي النفس.

كُن حذرًا. إسهر على نفسك! حوِّل أفكارك بعيدًا **عن تلك الأشياء التي سوف تعبر مثل الدُخان**، واهتم بما هو أَبَدِيٌّ. **حينئذ سوف تَجِد السَّعادة التي تطلبها نفسك والتي يتعطش إليها قلبك.**

١ والدة الإله الفائقة القداسة عند القديس نيقوديموس الآثوسي

ألقاها قسطنطين زلالاس في سان فرانسيسكو، بتاريخ ٦ تشرين الأوّل ٢٠١٢ – نقلتها إلى العربية رولا الحاج

(الجزء الأول)

سيادة المطران كيرللس،

أيّها الآباء القدّيسون، والشمامسة، والرّهبان، وحفظة أيقونة **العذراء** «نكتاري» المفيضة الطّيب، والإخوة والأخوات، **إنَّ المسيح ووالدته** في وسطنا.

إنّ والدتنا الفائقة القداسة ستظلّ دومًا معنا لأنّنا، وعلى الرّغم من عدم استحقاقنا الكامل، ننتمي إلى أجيال المسيحيين الّذين يدعونها **مباركة**. إنّ وجودنا هنا **في كاتدرائيّة سيّدة «فرح كلّ المحزونين» مع القدّيس يوحنا (مكسيموفيتش) رئيس أساقفة شنغهاي وسان فرانسيسكو**، هو استمرار لإتمام الكلمات النّبويّة الّتي تلتها **مريم العذراء** في نشيدها الرائع بعد البشارة: « هَا مُنْذُ الآن تُطوِّبُني جَمِيعُ الأَجْيَالِ!» رغم انتمائنا إلى أجيال المسيحيين الأكثر توغّلًا في الخطيئة، فوجود هذه **الإيقونة العجائبيّ والعطر** أبدًا في ما بيننا يؤكّد ما جاء في النشيد القديم **لكنيستنا المقدّسة**: «في ميلادك حفظت البتوليّة وصُنْتِها وفي رقادك ما أهملت العالم وتركته يا والدة الإله».

هل من برهان أعظم على هذه الحقيقة؟! فخلال السّنوات الخمس الماضية، باركتنا بطيب ابنها الفردوسيّ. مَسَحتنا بالعطر السماويّ **للثالوث القدّوس**، أي بزيت الابتهاج، كما جاء في المزمور المسيحانيّ ٤٥ للملك داود. نعم، يُمكننا أن نفتخر **بالرّب**، **وبوالدته**، **وبكنيستنا الأمّ**، **عمود الحقيقة وأساسها**! لا نستطيع تذوّق **الملكوت** في هذه الحياة **إلّا في الرُّوميّة الأرثوذكسيّة**! إنّنا نرى عظائم الله، وَنَشُمُّها، ونتذوّقها، ونلمسها، ونعيشها بأجسادنا ونفوسنا! **عمّانوئيل، الله معنا!** وفي الوقت عينه، **نحزن لِتَيَتُّمِ ملايينِ المسيحيين غير الأرثوذكسيّين من حولنا، لأنّهم لم يختبروا في الحقيقة الحضن الدافئ لأمٍّ بهذه العظمة – وهو القبلة العذبة لأمّنا السّماويّة**. إنّ الطّيب الفائض من هذه الأيقونة الّتي تلامسها شفاهنا غير الطاهرة، هو أعذب قبلة من – **أيقونة القبلة العذبة لأمنا العذراء**.

لقد نجح داود النبيّ والملك، جدّ **العذراء القدّيسة**، ، بنقل وبشكلٍ جميلٍ ما اختبرناه مع طيبها العجائبي، هذا الطّيب الّذي ما انفكّ يفيض ليس في هذا الأسبوع فحسب، بل خلال السنوات الخمس الماضية. فقد كتب منذ حوالى 3060 سنة عن عظائم **المسيح**، وعروسه الكنيسة، **ووالدة الإله – العذراء مريم** – لأنّ أمّنا العذراء هي مرادف للكنيسة – وأستشهد هنا بما يلي: «لذلك مَسحك الله إلهك بزيت الإبتهاج (ἔλαιον ἀγαλλιάσεως) (elaion aggaliaseos)، أفضل من رفاقِكَ.»

يا لها من نبوءةٍ مُدهشةٍ حول السرِّ الخفيِّ – الخفيّ قبل كلّ الدهور! إنّ الزيت مادّيّ، ولا يُمكن المسح بالزيت إلّا في العالم المادّيّ! فالرّوح لا يمكن أن تُمسح بالزيت! أيّ إله يمكن أن يُمسح بالزيت؟ إنّه الله الّذي يمكن ان يَخطُبَ لنَفسِه خليقته الماديّة، في الزمن. تشير إذًا عبارة «مسحك الله إلهك...» إلى **طبيعة المسيح البشريّة**.

لقد أخفى **الشيطان** هذه الآية عن **آريوس ومعاصريه**، الّذين **حَاربوا ألوهيّة المسيح**. تذكّروا كيف خاطب الله الثالوث يسوع المسيح كإله منذ 3060 سنة تقريبًا! إنّ الآية التّالية لا تقلّ روعة عن هذه: «المُرّ والمَيْعَة والسَّليخة تفوح من ثيابِكَ... ثيابك كلّها معطّرة بالمرّ...» إنّها نبوءَة مُدهشة عن الأشخاص المقرّبين من **المسيح**: أوّلًا **مريم العذراء**، ثمّ العَذارى القدّيسات، كلّهنّ اللواتي ستقودهنّ إلى هيكل المَلك «يتقدَّمنَ الى الملك عذارى في إثرها قريباتها اليكَ يتقدَّمنَ.» (مز ٤٤:١٥)، بحَسب ما جاء في المزمور نَفسه. لقد تقدّسنا كلّنا وسَتَرنا عُرينَا الرّوحيّ بالرّداء المسمّى **المسيح**! لأنّكم تعَمَّدتُم جميعًا في المسيح فلَبِستُم المسيح، كما يقول **القدّيس بولس**.

إنّ آدم وحواء أُلبِسا رداءً من نسج الله، رداءً غير ماديّ، **رداء النّور غير المخلوق**... ولكن بعد **عصيانهم المأساويّ**، **خسرا** ذلك الرّداء العطر، وأُلبسا جلود الحيوانات الميتة. خَسرا رائحة الفردوس، واختارا **رائحة الموتِ والفساد**... إنّ سوء استخدام أسلافِنا لعطيّة الإرادة الحرّة أزال الله من قلب حياتهم، إذا جاز التّعبير... ومع هذا، تعيَّن على محبّة الحكمة الأقنوميّة وشوقها أن تعيش بين النّاس... فأحد ألقاب **المسيح** في العهد القديم هو **حكمة الله**. نقرأ في الفصل الثّامن من سفر الأمثال «كنتُ (**الحكمة**) عنده صانعًا مبدعًا، ومسرّاتي مع بني البشر...».

لن أقرأ عليكم آياتٍ بعد الآن...إنّها طريقة جيّدة لجعل بعضكم يقرأ الفصل كلّه.

منذ عدّة أسابيع، كنت ألقي حديثًا في إحدى رعاياكم، في كنيسة **الرّسل القديسين، في بيلتسفيل– مريلاند**، وكانت لنا مفاجأة سارّة مفرّحة... زارنا الميتروبوليت هيلاريون HILARION وبقي لسماع الحديث. عارضتُه، وحَاولتُ أن أُقنِعَه بأن يُعلّم، ولكنّني لم أنجَح. ذهلتني بساطَته وتواضعه... لا عجب أن يُبارِكَكَ الله **بأيقوناتٍ عجائبيّة** عندما تتوفّر مثل هذه القيادة... حَاولتُ أن أقنِعَهُ مُجدّدًا بإلقاء كلمة بَعد حَديثي، فقال بِضعَ كلِمات. مع هذا، لقد كان المعلّم الحقيقي في تلك الأمسيّة. عَلّمنا جميعًا بتواضعِهِ وبساطتِهِ. نسأل الله أن يمنحه وكَهَنَته كلّهم العمر المديد! وبين المُلاحظات الّتي ذكرها في تلك الأمسيّة أنّه لفَتَ **إلى كسلِنا**، **نحن الأرثوذكسيّين، في قراءة الكتاب المقدّس**... لذلك، رأيتُ أنّه من الجيّد، من الآن فصاعدًا، أن أذكر الفصل (فحسب)، وأولئك الّذين يُحبّون **كلمة الله** فعلًا سَيقرأون الفصل لإيجاد الآية.

فمسرّة **الحكمة** إذًا – في الفصل الثّامن من سفر الأمثال – كانت في لبس الأردية والعيش مع بني البشر. كانت هذه مسرّة الله (kat'evdokian) (το κατ'ευδοκίαν) – إرادة الله السابقة أو الأوليّة. خَلقَ الله الكون كلّه مِن خِلال صانعه المبدع، **الحكمة – كَلِمتَه**، وجمّله ليشاركنا محبته.

ولكن **بعصيان آدم وحواء** إرادة الله، أصبحت **الحكمة** بلا مأوى. **الخطيئة، والموت، والفساد** كلّها عزلَت الطّبيعة عن الله. اضطرّ الله لأنّ يستعير أَرْدِيَتَهُ الماديّة الأولى من هذا العالم الماديّ، ولكنّه لم يجد ما يتلاءم وطهارته الفائقة. وَفقًا **للقدّيس غريغوريوس (بالاماس)**، رئيس أساقفة تسّالونيكي، لا يستطيع الله أن يَلمس ما كان دنسًا، والسّقوط جَعَل العالم دنسًا. وأمسَت أردية الإنسان **ملوّثة بالدمّ والخيانة والشّر**.

يقول آباء **الكنيسة ومن ضمنهم القدّيس نيقوديموس الآثوسي**، **إنّ تجسّد الله مُستقلٌّ عن السّقوط**. **فَالحِكْمَةُ** كان سَيَتَجَسَّد بغضّ النّظر **عن السّقوط**. إنّ الهدف الأساسي للإنسان هو أن يبلغ **التألّه**، ولا يُمكن أن يَتحقّق ذلك من دون **الإتحاد الأقنوميّ لطبيعَتَي المسيح**. فرغبة الله السّابقة أو الأوليّة إذًا، كانت أن يتجسّد ويعيش مع خليقته. كانت مسرّة **الحكمة** أن يعيش مع **بني البشر**.

بفضل معرفته المُسبقة **بالسقوط** قام الله، قبل الدهور، ببعض التعديلات الطفيفة. هذا ما يُسمّيه **شيخي ومُعلّمي أثناسيوس ميتيلناوس** ارادة الله الامتيازيّة أو الثانويّة. إنّه أمرٌ مهمٌ للغاية وخاصّةً بالنسبة إلى أولئك المُهتَدين الّذين قد يقعون في صراع **مع عقيدة التحديد المُسبَق الغربيّة**. فمعرفة الله المُسبقة لا تتعارض ومفهوم **إرادة الإنسان الحرّة**. الله يسبق فيحدّد، بإرادته الأوّليّة، ولكنّه يصحّح الخيارات السيّئة لإرادة الإنسان الحرّة بإرادته الثانويّة. مثلًا، كانت إرادة الله الأوليّة أن يبقى **آدم وحوّاء في الفردوس من دون خطيئة**، ويتكاثر الجنس البشريّ، ويتضاعف بعد ذلك بطريقةٍ ملائكيّةٍ.

ولكن نظرًا إلى **السقوط**، تلك **الخطيئة الجديّة المأساويّة**، عيَّنَ الله بفضل معرفته المُسبقَة شبكة أمان تُعرف **بالجنس أو الزواج**. إنّ الزّواج بين الرّجل والمرأة هو إذًا شبكة الأمان الّتي تحمي الإنسان من نتائج السّقوط الأوّل الموروثة. كانت البتوليّة والطهارة ارادة الله الأوليّة، أي حالة ملكوته. بارك الله بالتأكيد الزّواج، إلّا أنّ الزّواج يشكّل ارادة الله الثانوية، وبالتّالي، لن يكون موجودًا في ملكوت الله، حيث لا تَسودُ إلّا رغبته الأوليّة.

فيما كنت أكتب هذه السطور، ألقيت نظرة سريعة إلى الفصول الأولى لسفر التّكوين. في نهاية كلّ يوم من أيام الخلق، استخدم الله العبارة التالية: «ورأى الله أنه حسنٌ». كرّر ذلك مع مخلوقاتِه الطبيعيّة كلّها ولكن ليس مع مخلوقاته البشريّة.

وهنا نقرأ: « فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.» (تك ١:٢٧). هنا لا نجد عبارة «ورأى الله أنه حسنٌ».

غير أنّنا نقرأ في نهاية الفصل نَفسه: «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا.» (تك ١:٣١). فوَفقًا **للقديس نيقوديموس**، الّذي غالبًا ما يَستشهد بأقوال **القدّيسَين غريغوريوس بالاماس ومكسيموس المعترف**، تتضمَّن عبارة «أَنَّهُ حَسَنٌ جدًّا» مُساهمة **العذراء الكليّة القداسة**. **إنَّ عِفَّتَها وطهارتها المُذهلتين** تؤازران الله في معاكسة سقوط آدم. فهي قد أصلَحَت بكلماتها « لِيَكُن لي بِحَسَبِ مَشِيئَتِكَ» **إرادة آدم السّقيمة**. وَقَعَ اختيار الله عليها ليُجَدِّدَ الإنسان **من خلالها** عندما قال : «أنَّ كل شيء، كان حقًّا حسنٌ جدًا.»

إنّ الخطيئة، الّتي استمرّت في **آدم** ونسله، جعلت **الحكمة** بلا مأوى وعاجزةً عن امتلاك أردية (أي طبيعته البشريّة). كان يحتاج إلى بيت بحسب ما جاء في سفر الأمثال: «اَلْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ.» (امثال٩:١). إنَّ بيت **الحكمة** وهيكلها الحقيقيّ هما **مريم الناصريّة**. كانت **الحكمة** تحتاج إلى **عذراء طاهرة** لتجعل منها رداءً لها، وتتمكّن بالتالي من أن تلِد عروسها **الكنيسة**، وتؤسّسها على الأعمدة السبعة – أي أسرار الكنيسة المُقدَّسة – وتهتف: «هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ طَعَامِي، وَاشْرَبُوا مِنَ الْخَمْرِ الَّتِي مَزَجْتُهَا» (امثال٩:٥). ذاك الماء هو إناء الماء الحارّ، يَحمله خُدّام المذبح إلى **الكاهن** الّذي يُقيم الذبيحة.

ما كان أيّ من هذه الأسرار ليتمّ لولا عبارةُ **عذرائِنا المفيضَةِ الطّيب**: « ليكن لي بحسب قولك».

سامحوني من فضلكم إذا أرهقت بعضكم بهذه المقدّمة الطويلة، الّتي تبدو لاهوتيّة جدًّا، ولكنّ هذه المعرفة ستساعدنا بعض الشيء على فهم انشغال قدّيسنا، في تقدير، وتمجيد **شخص والدة الله الكليّة القداسة... فالقدّيس العظيم غريغوريوس، اللّاهوتيّ** ، اللّاهوتي الثاني في كنيستنا، حَذَّر بوضوح **كليودونيوس وأتباعه السّابقِين والمعاصرين كلّهم**: «كلّ من لا يدعو مريم Theotokos –ثيوطوكوس – والدة الله – ينفصل عن الإله – ويكون كافرًا.». إنّها كلمات ذات وقع قويّ جدًا من هذا اللاهوتيّ ذي الإحساس المرهف والوداعة الشّديدة.

ملحوظة: في **كنيسة الرُّوم الأرثوذكس** هناك ثلاثة أشخاص منحتهم الكنيسة **لقب اللّاهوتي** : ١) القديس يوحنا اللاهوتي والإنجيلي. ٢) القديس غريغوريوس اللّاهوتي. ٣) القديس سمعان اللّاهوتي الحديث. (جمعية نور المسيح).

ويخلص **القديس نيقوديموس الآثوسي** إلى القول إنَّ شخصًا واحدًا في تاريخ البشريّة تمكّن من تخطّي السموّ الروحيّ حتّى للعالم الملائكي. وَفقًا لهذا الأب القدّيس، اشتركت المخلوقات كلّها «بقوى **الله** وحدها، في حين استقبلت سيدتنا في أحشائها، أقنوميًّا، الشخص الثاني من الثالوث القدوس، لينتهي بها الأمر بشكل رئيسيّ إلى أنها حقًا **والدة الإله**... لتثبت حسب إرادة ومعرفة **الله** المُسبقَة، بأنّ **والدة الإله** كانت الغاية النهائيّة والهدف الأقصى للمخلوقات كلّها»(١) .

يذكّر تعليم **القديس نيقوديموس الآثوسي** طبعًا بتعليم الآباء القدّيسين حول **والدة الإله الفائقة القداسة**، أي تعليم **الكنيسة**. إنَّ الحبّ الرّوحي المتّقد، الّذي يكنّه هذا القدّيس **لوالدة الإله الفائقة القداسة**، يوازي الحبّ العميق والتقوى الشديدة الّتي شعر بها الآباء القدّيسون كلّهم تجاه شخص **أمّ الله الفائقة الجلال**(٢). كذلك، يعتبر ذلك بديهيًّا في سِيَر حياة **القدّيسين الأرثوذكسيّين**: لا يُمكن لأحد أن يكون قدّيسًا إن لم يحبّ أوّلًا **والدة الإله** حبًّا عميقًا. لاهوت **القدّيس نيقوديمس** في **والدة الإله** أتى نتيجة تقوى هذا القدّيس نحوها وحبّه العميق لها، وخبرته الشخصيّة، حيث عاش حياته ممجّدًا اسمها بدون انقطاع. وَوَفقًا لروايات شفهيّة من رهبان عاصروه، غالبًا ما كانت **والدة الإله** تظهر له وتقول: «أباركك، يا بني نيقوديموس، وأقوّيك لتكتب»(٣).

طبعًا، بفضل البصيرة الرّوحيّة القويّة الّتي تحلّى بها القدّيسون جميعهم (وتحديدًا لأنّهم كانوا قدّيسين)، فهموا أنّ **والدة الإله** حظيت بمحبة **الله**، فأصبحت محبوبة جدًا عند **المحبوب الوحيد** بفضل **قداستها المطلقة**. ولكن، حتّى القدّيسين يعترفون بعجزهم الكامل عن مقاربة المحيط اللّامحدود لسرّ **بتوليّتها الدّائمة** ولو جزئيًّا. لقد كتَبَ **القدّيس باسيليوس** أسقف سلوقية في هذا الإطار: «من أين لي الجرأة أن أفتّش في محيط سرّ البتوليّة العظيم وعمقه، إن لم تعلّميني انتِ **يا والدة الإله**، أنا السبّاح المفتقر إلى الخبرة، كيفيّة تحرير الإنسان القديم الفاسد بضلال الشهوة».

إن الحبّ الكبير الّذي يُكنّه القديس نيقوديموس لشخص **والدة الإله الكليّة القداسة** دفعه إلى تمجيد اسمها بدون انقطاع، ووصَف مدى غبطتها، وتمجيد العظائم الّتي صنعها **الله** القدير بها (لوقا ١ : ٤٩).

في **الشيوطوكاريون**، – وهو كتاب يحتوي على ٢٤٥٠ ترنيمة للعذراء تزخر بالتوبة وتُقرأ في أديارنا يوميًّا – ،كَتب **القدّيس نيقوديموس** ما يلي: «من بين يالمخلوقات جميعها، وحدها تحلّت منذ الولادة بثبات كامل لا يتزعزع في وجه الشرّ. كانت قد أماتت إلى الأبد النزعات الأهوائيّة لقوى النفس الثلاثة (العقليّة، والشهوانيّة، والانفعاليّة). لأنّها وَلَدَتْ من هو: **خالق كلّ شيء وإنسان**، صُلِبَ بالجسد»(٤). في تفسير الترنيمة التاسعة، يوسّع القدّيس نيقوديموس نظريّته اللاهوتيّة في أنَّ **والدة الإله** تسمو على سائر مخلوقات العالم من **البشر والملائكة**، فيقول: « بنقاوتها الفائقة الطبيعة في حياتها كلّها، ولا سيّما خلال إقامتها لمدة اثني عشر عامًا في قدس الأقداس، استحقّت العذراء مريم بجدارة أن تُصبح أمًّا لابن الله وكلمته نفسه»(٥).

ويُتابع القدّيس قائلًا: « من تُراهُ أنقى من **والدة الإله** وأوفر قدرةً على استعراض أسرار السماء؛ ليس بين مراتب الملائكة أو الناس مَن يفهم عظائم الله أفضل منها» (٦).

مع هذا، في لاهوتنا الحديث، لا سيّما في المجال الأكاديميّ حيث كان **تأثير البروتستانت شديدًا**، قد نسمع عبارة «الأول بعد الواحد» الّتي تميّز العمق الفكري واللاهوتيّ لـ «**فَمِ المسيح**»، **الرّسول بولس**. **كان رسول الامم بالتأكيد إناء للنعمة، إناءً مُختارًا، خادمًا دؤوبًا للكلمة.**

إلّا أنَّ **التقليد المقدّس الحيّ**، الّذي حَفِظَ الكنيسة من مثل هؤلاء

اللاهوتيّين العقلانيّين على مرّ العصور، يميّز لاهوتيًّا واحدًا لا منازع له يُعتبر« أسمى من السماوات وأنقى من أشعة الشّمس»، بحسب القدّيس نيقوديموس، الّذي لخّص الضمير الشامل لآباء الكنيسة، من خلال محاولته تقييم **شخص والدة الإله** غير المُتكرّر والدائم الانفراد. يُفسّر **القديس نيقوديمس** في اعترافه الإيمانيّ (٧)، أنّ «**الأول بعد الواحد» في العقيدة الأرثوذكسيّة هي أمّنا العذراء**، والنظرة **الأُرثوذكسيّة** لحركة الكوليفاديس Kollivades (القدّيس نيقوديمس، والقدّيس مكاريوس الّذي من كورينثوس، والقدّيس أثناسيوس باريوس)، الّتي شدّدت على الحاجة الدائمة للمناولة المقدسة المتواترة، وتلك المتعلّقة بإقامة قداديس تذكاريّة يوم السبت المحدّد وليس الأحد، الأمر الّذي أشعل ثورة في نفوس «رهبان الجبل المقدّس المتعصبين وغير المثّقفين». في القرن الثامن عشر، ما أنتج جوًّا من الافتراءات والغضب ضدّه لاثنينِ وعشرينَ عامًا.(٨).

طبعًا، **برّأ المجلس المقدّس لجبل آثوس القدّيس** من **هذه الحرب غير المبرَّرة الّتي سبّبتها حاشية جريئة** في كتابه الصادر حديثًا، تحت عنوان الحرب اللامنظورة.(٩)، وجاء فيها: «بكل حقّ، الله الثالوث القدّوس، سُرّ وابتهج كثيرًا قبل الدهور عالمًا، بحسب سابق معرفته، بمريم الدائمة البتولية. وذلك لأنّه بحسب رأي بعض اللاهوتيّين، لو صار الناس كلّهم منذ الدهور أشرارًا، وذهبوا جميعًا إلى الجحيم وسقطت رتب الملائكة التسع من السماء وأصبحوا شياطين... مع هذا كلّه، هذه الشرور كلّها مقارنة بملء قداسة والدة الإله، لن تكون قادرة على إحزان الله، لأنّ السيّدة والدة الإله وحدها قادرة أن تفرّحه بالكامل في كلّ الأحوال... هي الوحيدة الّتي أحبّته قبل كلّ شيء، لأنّها وحدها أطاعت إرادته، قبل كلّ شيء، ولأنّها وحدها كانت قادرة أن تتلقّى هذه المواهب الطبيعيّة، والاختياريّة، والفائقة الطبيعة – الّتي وزّعها الله على خليقته كلّها...». (١٠)

ويتضمّن تفسيره للترنيمة التاسعة تعدادًا لمواهب **والدة الإله الفائقة القداسة** هذه كلّها، حيث يُعبّر القدّيس صراحةً عن شوقه الّذي يُصعب إشباعه، «ما أعذب شخصكِ واسمكِ يا مريم، ما هذا الحبّ الّذي أشعر به في داخلي؟ لا أستطيع أن أكفّ عن الإشادة بعظائمكِ! فكلّما أشَدْتُ بها كلّها، تُقتُ إليها أكثر، شَوْقِي لن ينطفئ أبدًا، وتَوْقِي لن ينتهي...». (١١)

يُشدّد **القدّيس نيقوديموس**، في المقطع «لأنّه نظر إلى تواضع أمته»، على عمق تواضع **سيّدتنا العذراء**، كما في الحواشي، « لم يكن عمق التواضع متجذّرًا في قلب **والدة الإله** فحسب، بل فاض كالنّبع المتدفّق ليغمر أعضاء جسدها الطاهر الخارجيّة كلّها... أشرق تواضعها مثل الشمس، في سلوكها كلّه، وفي حركاتها، وفي كلماتها، وفي طبيعتها الداخليّة كلّها ومظهرها الداخليّ... فبشكلٍ عام، شعّ حضور **والدة الإله** نعمةً إلهيّةً واحترامًا كبيرين، فولّدا كثيرًا من الإجلال والانسحاق في نفس الناظر إليها للمرّة الأولى... حتّى من تلك النظرة الأولى كان يعرف المرء – من طبيعتها الخارجيّة فحسب – أنّها حقًّا **والدة الإله**...

كالقدّيسين جميعهم، أحبّ القدّيس ديونيسيوس الآريوباغي المسيح ربّه حبًّا عظيمًا. عندما عَلِم أنّ والدة المسيح الكليّة الطهارة كانت لا تزال على قيد الحياة، سافر من أثينا للقائها. دُهِشَ عندما وقع نظره للمرّة الأولى على وجهها الإلهيّ وجمالها الرائع والملوكيّ، وقد أحاط بها الملائكة كملكة... ولدى سماعه الكلمات الإلهيّة من فمها الكليّ النقاوة، دُهش وملكته الرّهبة، معترفًا أنّ طبيعة جسدها ومظهرها الخارجيّ كافيان وحدهما بإظهار أنّها **والدة الإله**. » (١٢).

امتلكت **السيّدة العذراء** بشكلٍ كامل رداء التواضع من نسج الله. فعلى الرّغم من أنّها اختيرت لتكون حقًّا **والدة الإله** وملكة المخلوقات المنظورة وغير المنظورة كلّها، عند بشارة **الملاك جبرائيل** لها، عرّفت بنفسها لهجة هادئة عفويّة ليس فيها تصنّع أنّها **أَمَةُ الرَّبّ**(١٣). كلّما أصبحت الرُّوح أكثر طهارة وكمالًا، شعرت بضعفها وعدم جدارتها. هذه كانت قوّة تواضع **الدائمة البتوليّة**، الّتي حسبَت نفسها غير مستحقّة لتكون خادمة، **العذراء** الّتي تكلّم عنها أشعياء، وكانت ستلد **المسيح** بحسب مُضيفِنا **القديس يوحنا** رئيس أساقفة شنغهاي وسان فرانسيسكو (أشعياء٧:١٤)(١٤). إلى ذلك، يرى بعض المعلّمين أيضًا «**أنّ العذراء، نظرًا إلى تواضعها الكبير والفريد،لم تكشف لخطيبها يوسف عن بشارة الملاك جبرائيل، كي لا تبدو متباهية ومغرورة، بل تركت لله أمر إبلاغه من الأعالي**»(١٥).

إحفظينا يا **والدة الإله الكليّة القداسة** واحمينا، وخلّصينا **من سهام الشرير الحارقة بصلوات آبائنا القدّيسين**. آمين.

والدة الإله الفائقة القداسة عند القديس نيقوديموس الآثوسي ١

[1] Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Hagiorite, 2nd Edition, pp. 250.

[2] المرجع نفسه، 245

[3] المرجع نفسه، 248

[4] Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Haghiorite, pp. 187.

[5] St. Nicodemos, Garden of Graces, pp. 196.

[6] المرجع نفسه، 195

[7] Saint Nicodemos, Handbook of Counsel, Athens 1987, pp. 314.

[8] Krikonis Chris., Saint Nicodemos the Haghiorite, Life and Written Work, Athens 2001 pp. 125.

[9] أنظر، Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Hagihorite, pp. 246

[10] المرجع نفسه

[11] Saint Nicodemos, Garden of Graces, pp. 214

[12] المرجع نفسه، 204

[13] المرجع نفسه

[14] Saint John of Shanghai and San Francisco, The Orthodox Veneration of MARY the birthgiver of God, California, 1996, pp. 65.

[15] Saint Nicodemos, Garden of Graces, pp. 205

٢ والدة الإله الفائقة القداسة عند القديس نيقوديموس الآثوسي

ألقاها قسطنطين زلالاس في سان فرانسيكو، بتاريخ ٦ تشرين الأوّل ٢٠١٢ – نقلتها إلى العربية رولا الحاج

(الجزء الثاني)

من عظائم **والدة الإله** الشخصيّة تَنَزُّهُها **عن الخطيئة** بالنّسبة لسائر البشر.(١)، وجهادها الشخصيّ. وَفقًا **للقدّيس غريغوريوس بالاماس**، أسقف تسالونيكي: «عندما كانت **والدة الإله** طفلة صغيرة في قدس الأقداس «**العمل العقليّ**» وهي رائدة الصلاة العقليّة والقلبيّة، لأنّه: من خلال عودة العقل إلى القلب والصلاة الدائمة، سَمَت عن كلّ ما له هيئة وشكل، فَبَنت بالتّالي دربًا جديدًا إلى السماء – **الصمت العقليّ** – وارتفعت من خلاله فوق المخلوقات كلّها، وعاينت مجد الله بطريقة أكثر كمالًا من موسى، ورأت النعمة الإلهيّة الّتي لا يُمكن الحواس إدراكها، بل هي مشاهدة بديعة للملائكة، والرهبان، والنفوس النقيّة»(٢).

يتابع القدّيس نيقوديموس، في كتابه بستان النعم، الحديث عن «العظائم الّتي صنعها الإله القدير بها»: إنّ الله سَبق فعرفها واختارها قبل الخليقة كلّها، لتخدم السرّ الّذي كان مكتومًا قبل الدهور.

وَفقًا **للقديس باسيليوس الكبير**، هي خُلاصة التطهير الّذي خضعت له الأجيال البارّة السبعة والسبعون، قبل الناموس وبعده، منذ آدم وصولًا إلى **يواكيم** البارّ.

إنّها قصيدة كلّ نبيّ وبداية النبوءاتِ كلّها منذ سفر التكوين.

إنّها أمّ **النعمة** قبل زمن النعمة.

جعلها أرحب من السماوات كونها حملت في أحشائها **الإله** الّذي لا يَسَعَهُ مكان.

أعظم العظائم هو حبلها بشكل يفوق الطبيعة **بالله الكلمة**، الّذي لم ينمُ في أحشائها بحسب قواعد علم الأحياء التطوّري الشائعة. يُعلِّم **القديس باسيليوس الكبير** في عظته الميلاديّة أنّه: «كوَّن الطفل نفسه في لحظة وليس من خلال انقسامات صغيرة (للخلايا والقسيمات الجرثوميّة)...» يُشير **القديس** إلى أنّه في غياب الأمشاج والبويضات، جرى نموّ من نوع آخر، لا يختلف كثيرًا عن نموّ **آدم القديم**. إنّ **حكمة الله**، وهو الخالق المبدع، جبلَ **آدم القديم** من الطين. كذلك، منذ ألفي سنة ونيِّف، جبلَ **حكمة الله** نفسُه، الخالق المبدع، رداءً لنفسه، أيْ **طبيعته البشريّة من دم العذراء الكليّ النقاوة**. ورأى **رئيس الملائكة جبرائيل ملكَ الملوك** للمرّة الأولى في البشارة، بحسب ما جاء في الترنيمة الخاصّة **بوالدة الإله** (الثيوطوكيون) باللحن الأوّل:«إنّ جبرائيل لمّا تفوّه نحوكِ أيّتها العذراء إفرحي، حينئذٍ تجسّد سيد الكلّ فيكِ عند سماعه الصوت»... حملَتِ **العذراءُ الطفلَ الصغير**، الّذي استمرّ ينمو بشكلٍ طبيعيّ لمدة تسعة أشهر، ولم تشعر بآلام الولادة ولا بأيّ ثقل أو إرهاق.

أخيرًا، ولدت ذاك الّذي من خلاله تمّ كلّ شيء، بدون أيّ تغيير أو فساد. حافظت على عذريّتها وبقيت عذراء خلال هذه الولادة الفائقة الطبيعة ولبقيّة حياتها، بما أنّها كرّست نفسها بالكامل لمشيئة الله الأوليّة، الّتي تحدّدت بالعذريّة. **في غياب هذه النظريّة اللاهوتيّة**

الأرثوذكسية الخاصّة بآباء الكنيسة الواضحة تمامًا، يتصارع جيراننا المسيحيون غير الأرثوذكسيّون منذ قرون مع الفكرة القائلة إنَّ **للمسيح أخوة، وأخطأوا مؤخرًا لدرجة مُحزنة حيث نسبوا** لابن الله **أفكارًا شهوانيّة وتكلموا حتّى عن زواجه**، ومن الواضح أنّهم لم يعودوا يقبلون به كأحد أقانيم الثالوث. ليس هذا سوى **روح المسيح الدّجال** بحسب **القدّيس يوحنّا اللاهوتيّ**. ويشير **موقف الكنيسة الرُّوميّة الأرثوذكسيّة إلى أنَّ الإتّحاد الأقنوميّ للطّبيعتين جعل المسيح مُحَصَّنًا بالكامل من أيّ أهواء وتجارب دنيويّة**. كان **يسوع** الإنسان الحقيقيّ الوحيد الّذي لم يخرج عن إرادة الله الكاملة، كما أعلن **الآب** في خلال **معمودية المسيح والتجلّي المقدّس**: «هذا هو ابني الحبيب الّذي به سُررت».

وَوَفقًا للقدّيس نيقوديموس، استمرّت سيّدتنا **والدة الإله** بجهادها الشخصيّ بعد قيامة ابنها وصعوده، «سَعَت السيّدة والدة الإله بطريقة مميّزة إلى الجهاد، أيضًا بعد صعود ابنها، بالصوم، والصلوات، والسجدات، وأنواع التقشّف كلّها» (٣).

يُلخّص القدّيس **تعاليم الكنيسة** حول تنزيه **والدة الإله** نسبيًّا **من الخطيئة** في مقطع النشيد «تبتهج روحي بالله مخلّصي». « إنَّ الّذي خلّص العالم من الخطيئة خلّص أيضًا **والدة الإله** من الخطيئة الجِدِّيّة، لأنه وعلى الرّغم من سمو **والدة الإله** عن كل خطيئة طوعية، مُميتة، وقابلة للمغفرة... **كانت عرضة للخطيئة الجِدِّيّة** حتّى البشارة. عندئذٍ، طُهّرت من ذلك بحلول الروح القدس»(٤). ويُصنّف القديس نيقوديموس **بتوليّتها الدائمة**، وقيامتها، وانتقالها، وصعودها إلى ملكوت السماوات ضمن العظائم الفائقة الطبيعة لوالدة الإله »(٥).

يذكر القديس نيقوديمس في كتابه «بستان النِّعَم» شهادة المغبوط أغسطينوس حول عظمة **والدة الإله** الفائقة التصوّر: «كان الله الخالق العظيم، الّذي أخرج كلّ شيء من العدم إلى الوجود، قادرًا على الإتيان بمخلوقات أكثر كمالاً، لأنّه قادر على كلّ شيء، طبعًا؛ ومع ذلك ثمّة ثلاثة أشياء لم يستطع الله نفسه أن يجعلها أكثر كمالًا: طبيعة المسيح البشريّة، عظمة مريم الدائمة البتوليّة في ولادتها، والمجد الأبديّ للقدّيسين»(٦).

على ضوء ما ذُكِرَ أعلاه، لا يمكننا أن نُسلّم برأي بعض اللاهوتيّين في الوسط الأرثوذكسيّ، الّذين يدّعون أنّ وساطة العذراء أو شفاعتها، كما يسارعون إلى تسميتها، لا تختلف بشكل جوهريّ عن شفاعة القدّيسين الآخرين. من المعروف أنّه **تمّ التشكيك** منذ بضعة عقود بتقليد كنيسة **المسيح** الّتي تصلّي «أيتها الفائق قُدسها والدة الإله خلصينا». يقولون إنّ الله وحده يُخلّص. لا يمكن للعذراء مريم الكليّة القداسة سوى التشفّع مثل أيّ قدّيس(٧). تصلّي الكنيسة بالتأكيد، «بشفاعة والدة الإله، يا مخلّص خلّصنا»، لكنها تُتمّم أيضًا « أنتِ لنا شفيعة عند الله المحبّ البشر» لأنّ سيّدتنا « أكرم من الشيروبيم وأرفع مجدًا بغير قياس من السيرافيم» – « القدّيسة الأعظم من القدّيسين» – «الله بعد الله»، هذا كلّه يعني أنّ شفاعتها – وساطتها – أرفع بلا قياس من شفاعة **القدّيسين والملائكة**.

يبدو أنّ **خطر التيارات العقلانيّة والإنسانية** لا يزال كامنًا في العالم **الأرثوذكسيّ** اليوم. كان هذا الخطر أكبر بكثير في زمن القدّيس نيقوديموس لأنّ الأراضي **الأرثوذكسيّة أفقرها الاستعباد الّذي فرضه الأتراك العثمانيّون**. تنامى **المبشّرون البروتستانت «المخلّصون»** بشكل كبير في سهول **البلقان الأرثوذكسيّة** المهمَلة، **محاولين على طريقتهم، تبشير الأرثوذكسيّين بالخلاص»(٨)**. لعلّ هذا هو السبب الّذي جعل القدّيس نيقوديمس يقترح مناقشة ممتازة للوساطة السّمية – شفاعة – الّتي تتمتّع بها **الأمّ العذراء** لدى **ابنها وإلهها**. يستهلّ القدّيس تبريره من ترانيم العنصرة المُلهمة من الله قائلًا: «... لم يُذكر في الترنيمة أنّ العذراء أعطت أو مَنَحَت، أو أي كلمة أخرى من هذا القبيل، بل أقرضت خالق الكلّ جسدًا، أي أنّها أعطت قرضًا لكلمة الآب... هذا يعني أنّ والدة الإله، من خلال هذا القرض، جعلت ابن الله مَدينًا لها» (٩). ويتوسّع القدّيس في شرحه أنّه قرضٌ من نوع آخر، لا صلة له بالقروض الماليّة والأشياء الماديّة «الخارجيّة»، الّتي يتّم إرجاعها عادةً في العالم التجاري مع فائدة ماليّة. كان قرض «**حكمة الله الصانع الكلّ**» داخليًّا أبديًّا ولا يمكن تسديده. إنّ الاتّحاد الأقنوميّ **للمسيح** أمر نهائيّ، لأنّ **الله الكلمة** سيتّحد إلى الأبد بالطبيعة البشريّة (اقتراضًا من مريم العذراء الكليّة القداسة). إنّ الطبيعة البشريّة هذه هي الّتي جعلته الوسيط الجوهريّ بين **الخالق والمخلوق**، أي **الله والإنسان**. فبدون الطبيعة البشريّة، نستطيع أن نقول «تعذّر على موسى رؤية الله في العهد القديم» حتّى يومنا هذا. وبالتالي، **فإنّ هؤلاء الهراطقة المتعدّدين، الّذين عرقلوا** عمل خلاص **المسيح** على الجلجثة، **وهم يزعمون** أنّ جسد **المسيح تبدد** في صعوده إلى السماء، **لَمصابون بالهذيان! إنّهم آخِر من يمكنه التعليق على الموضوع!** ويُضيف القدّيس نيقوديموس في تأمّلاته اللاّهوتية ما يلي:

«ماذا يُمكن أن نستنتج من هذا؟ بما أنّ ابن الله مدين دائمًا لوالدته، عليه أوّلًا أنّ يعظّمها بكامل المجد والإكرام اللّذين يليقان بإله ولا يعرفهما أي مخلوق آخر؛ وبما أنّ القرض الّذي تلقّاه منها أبديّ، عليه أيضًا أن يحقّق طلبات والدته الآن وإلى الأبد ....»

ويتابع نيقوديموس المحبّ **لوالدة الإله**، « هل رأيتم مجدًا مماثلًا يا أحبّائي؟ هل رأيتم عظائم العذراء؟ أسرعوا إليها بتقوى وإيمان وسوف

تُستَجاب طلبات صلواتكم المتعلّقة بالمسائل الخلاصية كلّها.».

صاحب السيادة، بحسب قصة **القدّيس قوزما الإيتولي** الرائعة الّتي سأرويها، إنّ حُبّ **ملكة السموات** ورأفتها لا يعرفان حدودًا.

وَفقًا **للقدّيس قوزما**، استسلم أحد المسيحيّين المدعو **يوحنا لطريق السّرقة الرديئة**. أصبح قائد عصابة مؤلَّفة من مئة لصّ، إلّا أنّه كان لديه احترام كبير **لوالدة الإله**، ولعلّه قد ورثه من أهل بيته المتديّنين. لم يغفل قطّ، لا مساءً ولا صباحًا، عن **صلاة المديح لأمّنا الكليّة القداسة**.

ومن خلال شفاعة **العذراء الكليّة القداسة** (Panagia) أنارت نعمة **الله** ناسكًا تقيًّا ليزور عصابة اللصوص هذه ويبشّرهم بكلمة الخلاص. أقنع الناسك الرائي **القائد يوحنا** بأن يستدعي أتباعه كلّهم ورأى أنّ أحدهم كان غائبًا. فسأل «من الغائب»؟ وبالفعل، كان الطبّاخ غائبًا. طالب الناسك بحضوره، ولكنّ هذا الطبّاخ، عند قدومه، رفض أن ينظر إلى وجه رجل **الله**. أمر الناسك التقيّ **هذا الطبّاخ الغريب الأطوار**: « بآسم يسوع المسيح، آمرك بأن تقول لنا اسمك ومن أين أتيت...» فأجابه، « **أنا أبو الكذب**... لكنّك الآن بعدما قيّدتني باسم **المسيح** أنا مُجبرٌ على قول الحقيقة...**أنا شيطان** وأرسلني سيدي لأخدم **القائد يوحنا**، منتظرًا بفارغ الصبر اليوم الأوّل الّذي يهمل فيه صلاته لوالدة الإله، كي أتمكّن من أخذ روحه مباشرة إلى الجحيم. أنا هنا منذ أربعة عشر عامًا ولم يُهمل قطّ صلاته: «إفرحي يا عروسًا لا عروس لها»!

أبعد الناسك **الشيطان** إلى الجانب الآخر من العالم، ثمّ بشّر اللصوص الّذين أظهروا توبة مثاليّة. أصبح بعضهم رهبانًا وتزوّج بعضهم الآخر وعاشوا حياة مليئة بالتقوى.

صاحب السيادة، إخوتي وأخواتي في **المسيح**، تُجسّد هذه القصة بشكلٍ رائع **حُبّ إلهنا ووالدته لكلّ خاطىء**. بالنسبة إلى **الرَّبّ ما من شيء على هذه الأرض أثمن من بضع قطراتِ دمعٍ من قلبٍ تائبٍ. حتّى إنّ دمعة واحدة لتوبة حقيقيّة تفوق طنًّا من الأعمال الصالحة المفتقرة إلى التوبة**.

الخاتمة:

صاحب السيادة، إنّ اللقب اللاهوتيّ بامتياز، الّذي يعبّر عن مكانة **مريم العذراء الكليّة القداسة في اللاهوت الأرثوذكسيّ، هو والدة الإله** «Theotokos». إنّ عبارة **والدة الإله** تقود مباشرة إلى قلب العقيدة الخريستولوجيّة، ونتيجة لهذا، كان من الطبيعيّ أن تواجه **معارضة عدد من الهراطقة، الّذين حرّفوا الجوانب المختلفة للعقيدة الخريستولوجيّة والإتحاد الأقنومي لله الكلمة**. في ضمير الكنيسة، إنّ تعبير **والدة الإله** يُصنّف ك «حصن للإيمان»، واصطلاح لا يتزعزع، فهي تشكّل قلعة رائعة في وجه البدع الخريستولوجيّة.(١٠). بحسب **تعليم الآباء الجامع**، يرتبط اسم **والدة الإله** بشكل وثيق بنتيجة العمل الخلاصيّ لاسم **الإله – الإنسان** (Theanthropos)، إنّ **والدة الإله** كتعبير وكشخصٍ، كانت وتبقى عبر القرون مرساة الخلاص « للّذين يُقَبِّلون أيقونتها المَهِيبَة». إلى جانب لقب **والدة الإله**، ثبّت الآباء ومعلمو الكنيسة

لقب **مريم الدائمة البتوليّة** في المجمع المسكوني الخامس من القانون التاسع، مُحدّدين الإيمان الصحيح حول **المسيح**، « الّذي تجسّد من والدة الإله المجيدة المقدّسة، مريم الدائمة البتوليّة»، كما حافظت عليها حتّى اليوم **ليتورجيّة القدّيس يوحنا الذهبيّ الفمّ**.

تُظهِر النّبؤات، والرّسومات، والعلامات، والرّموز الكثيرة المتعلّقة **بوالدة الإله الكليّة القداسة** في العهد القديم أنّ **مريم العذراء الكليّة القداسة** شخص لن يتكرّر، ما يجعلها فعلًا: «السلّم، والجسر، وبوابة الخلاص» للجنس البشريّ. يورد **القدّيس نيقوديموس** في عمله «Eortodromion» شروحات شاملة لمرنّمين وملحّنين مرّوا عبر القرون و«استعاروا» من الكلمات النبوئيّة من أجل نَظم ترانيمهم الخاصّة **بوالدة الإله**.

ويوسّع القدّيس نيقوديموس لاهوت الآباء، فيعلن أنّ « قلب الناموس كلّه وخاتمته وهدفه، وأقوال الأنبياء ورموزهم كلّها، هو **والدة الإله** نفسها، ومن قَبلِها، الله الكلمة الّذي تجسّد منها» (١١). وكالقدّيسين المحبّين **لوالدة الإله** الآخرين، خصّص نيقوديموس جزءًا كبيرًا من كتاباته ليُعبّر عن شوقه الّذي يُصعب إشباعه «للمعجزة الّتي لا يُسْبَرُ غَوْرُها» لوالدة الله.

في تفسيره للترنيمة التاسعة، يُعالج القدّيس نيقوديموس استحقاق **والدة الإله الكليّة القداسة** الأسمى مقارنةً بالمخلوقات الأخرى. «تفوق **والدة الإله** المخلوقات كلّها في النقاوة، والتألُّق، والبساطة، والشّوق المتعذّر تفسيره، والطاعة الكاملة لمشيئة **الله**. وبالتّالي، فإنّ مواهب والدة الإله جعلتها «ممتلئة نعمة» قَبْلَ البشارة وأمّ النعمة قبل زمن النعمة أي العنصرة. بقولها: «ها أنا أَمَةُ الرَّبّ»، تطهّرت مريم البتول الكليّة القداسة من وصمة آدم و« أصبحت طاهرة وغير مُدنّسة» لتخدم سرّ «الولادة الجديدة» مانحةً دَمَهَا الكليّ النقاوة **لآدم الجديد (اي المسيح)**».

إنَّ **مكوث المسيح في رحم والدة الإله العذريّ قدّسها بالنعمة وألّهها** إلى درجة لا تقارن مع أيّ مخلوق آخر. ووفقًا للأب أثناسيوس ميتيلناوس، جعلها وسيطًا جوهريًّا بين الجنس البشريّ، وآدم الجديد، أي ابنها، على الرغم من أن هذا قد يبدو للبعض كلامًا يتجاوز المعقول.

يمكن لوالدة الإله الفائقة القداسة أن تخلّص بالتأكيد لأنّه بحسب ما جاء في المزمور الداوديّ، إنّها الملكة الّتي تقف عن يمين الملك، ابنها، الّذي يجلس عن «يمين الآب» في ملكوت السموات.

إحفظينا يا **والدة الإله الكليّة القداسة** واحمينا، وخلّصينا **من سهام الشرير الحارقة بصلوات آبائنا القدّيسين.** آمين.

والدة الإله الفائقة القداسة عند القديس نيقوديموس الآثوسي٢

[1] الله وحده معصوم عن الخطيئة تمامًا، ولكنّ والدة الإله بريئة من كلّ عيب. يشرح القدّيس يوحنّا الذّهبيّ هذا الأمر قائلاً إنّ الخطيئة كانت بالنسبة إلى والدة الإله مثل كلاب تعوي من بعيد (المترجم).

[2] Saint Nicodemos, Garden of Graces, 195.

[3] المرجع نفسه، 217

[4] المرجع نفسه، 200

[5] المرجع نفسه، 213

[6] المرجع نفسه، 214، يُلاحظ القديس نيقوديموس في عظة المغبوط أغسطينوس هذه أنّ ذلك الأخير يصنّف "المجد الأبديّ" في المخلوقات ويضيف تعليقًا: لعلّ المغبوط أوغسطينوس كان يُسمّي المجد الأبديّ مخلوقًا، على الرّغم من أنّه، بحدّ ذاته، بعيد عن ذلك! لأنه غير مخلوق، باعتباره قوى الجوهر الإلهيّ الطبيعي وغير المنفصل عنه.

[7] Mavromatis George, She is Truly Theotokos, pp 190

[8] أنظر، Theoklitos Dionysiatis, Saint Nicodemos the Haghiorite, pp. 25

[9] المرجع نفسه، 250

[10] Theodoropoulos Epiphanios Arch, The Akathist with Interpretation, Athens 1988, pp. 174

[11] Saint Nicodemos Haghiorite, Eortodromion, pp. 233

عجيبة : فتح الشرايين المسدودة

هذا ما روته السيدة ماريّا كوستانتينو، ذاساكي «أخناس، لارنكا– قبرص» إلى رئيسة الدير، دير العذراء ماليقي العامر للرُّوم الأرثوذكس في اليونان.

أَوَدُّ أن أروي لكم هذه الأعجوبة التي صنعتها لي **والدة الإله الكليّة القداسة** – من الطيب المتدفق من أيقونتها في دير ماليقي.

كانت حالتي المرضيّة صعبة للغاية، لدرجة أنّي لم أكن أعلم أنَّ المستشفى قد طَلب قدوم أختصاصيين بدرجة بروفيسور من أنجلترا ليقوموا بإجراء الفحوصات لهذه الحالات الصعبة والتي أعاني منها.

لقدتمَّ التأكد من حالة انسداد الشرايين ، (أو ما يُعرف بتصلّب الشرايين).

عندها تمَّ التحضير لإجراء العمليّة الجراحية أو ما يعرف بالقسطرة، في وقتٍ لاحق. وقبل الدخول الى غرفة العمليات في المستشفى، ذهبتُ أولًا إلى الحمام وهي فرصتي الأخيرة قبل الدخول إلى قسم الجراحة، وهنا كان المجال الوحيد الذي أستطيع فيه التوسُّل والصلاة

إلى **العذراء مريم**، شعرتُ بأنَّ **العذراء مريم** قد مسحتني بالطيب الذي يفيض من أيقونتها العجائبيّة في ديرها العامر ماليقي.

ويا للعجب ، ما أعظم أعمالك يا ربّ ، عند دخولي إلى قسم الجراحة، تم توصيل المونيتور مع الأجهزة الطبيّة المرافقة، وماذا تبيّن، لقد تبيّن عبر الشاشة، أن الشرايين قد فُتِحَت لوحدها، بالضبط هكذا حدث، وبدون إجراء العملية الجراحية (أو بما يدعى قسطرة).

لقد منحتني **والدة الإله أُم النور** هذه البركة الكبيرة، وهذه الأعجوبة العظيمة، بواسطة الطيب المقدّس، فأنا أشكرها من صميم قلبي ووجداني وبحرارة وقَّادة أطلب منها صارخة: **عليكِ وضعتُ كُلّ رجائي يا والدة الإله، فاحفظيني تحت سِتر كنفك.**

الإنجيل فصلٌ شريف من بشارة القديس مرقس الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (مر ١٠: ٣٢-٤٥)

في ذلك الزمان أخذ يسوع تلاميذهُ الإثني عشر وابتدأ يقول لهم ما سيعرض له: ✻ هوذا نحن صاعدون إلى أورشليم، وابنُ البشر سيُسلَم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت ويُسلِمونهُ إلى الأُمم ✻ فيهزأُون به ويبصقون عليه ويجلدونه ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم ✻ فدنا اليه يعقوب ويوحنا ابنا زَبْدِي قائلَيْن: يا معلّم، نريد أن تصنع لنا مهما طلبنا ✻ فقال لهما: ماذا تريدان أن أصنع لكما؟ ✻ قالا له: أَعطنا أن يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك ✻ فقال لهما يسوع: إنكما لا تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أَشربها انا، وأن تصطبغا بالصبغة التي أَصطبغ بها أنا؟ ✻ فقالا له: نستطيع. فقال لهما يسوع: أما الكأس التي أَشربها فتشربانها وبالصبغة التي أَصطبغ بها فتصطبغان، وأما جلوسُكما عن يميني وعن يساري فليس لي أن أُعْطِيَه الَّا للذين أُعِدَّ لهم ✻ فلمَّا سمع العشرة ابتدأوا يغضبون على يعقوب ويوحنا ✻ فدعاهم يسوع وقال لهم: قد عِلمتُم أن الذين يُحسَبون رؤَساءَ الأُمم يسودونهم، وعُظَمَاءَهم يتسلَّطون عليهم ✻ وأمَّا انتم فلا يكون فيكم هكذا ✻ ولكن من أراد أن يكون فيكم كبيرًا فليكن لكم خادمًا ✻ ومن أراد أن يكون فيكم أوَّل فليكن للجميع عبدًا ✻ فإن ابن البشر لم يأتِ لِيُخْدَم بل لِيَخْدُم ولِيَبْذُل نفسه فِداءً عن كثيرين.

الإنجيل فصلٌ شريف من بشارة القديس متى الإنجيلي البشير، التلميذ الطاهر (متى ٢٠:١٧-٢٨)

وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذًا عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: ✻ «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، ✻ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».✻ حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئًا. ✻ فَقَالَ لَهَا:«مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ:«قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». ✻ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ:«لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟» قَالاَ لَهُ:«نَسْتَطِيعُ».✻ فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي». ✻ فَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ اغْتَاظُوا مِنْ أَجْلِ الأَخَوَيْنِ. ✻ فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. ✻ فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، ✻ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، ✻ كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ».

✻ التنبؤ عن الآلام

✻ «وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذًا عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (متى ٢٠:١٧-١٩).

لا يصعد يسوع الى أورشليم مباشرةً آتيًا من الجليل. بعد ان صنع أولًا عجائب، وأسكتَ فم الفرّيسيين، تحدّث لتلاميذه عن **عدم القنية**

قائلًا: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ أَمْلاَكِكَ» (متى ١٩:٢١)، وعن **البتولية**: «... وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٩:١٢)، وعن **التواضع**: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متى ١٨:٣)، وعن **جزاء الانسان في هذا العالم**: «وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ.» (متى ١٩:٢٩). بعد ذلك كلّه يأتي الى المدينة **ويتكلّم عن آلامه** التي سوفَ يُكابدها عندما يصعد الى اورشليم. من الطبيعي أن ينسى التلاميذ قوله هذا كونهم لا يُريدون أن يحصل الأمر. لذلك كان يُذكّرهم بآلامه باستمرار، مُروِّضًا هكذا فكرهم بالتذكير المستمرّ ومُخفِّفًا حزنهم. لكنه عند الضرورة كان يتكلّم معهم على انفراد لأنّه كان يريد ألّا تعرف الجموع كلامه عن **الآلام**، وألّا تُقال هذه الكلمات بوضوح لأنه لا ينتج عن ذلك أيّ نفع. إنْ كانَ التلاميذ الذين سمعوا كلامه قد اضطربوا، فكَم بالأحرى يحصل مع الجموع ؟

ماذا إذًا يسأل الواحد؟ أَلَمْ يَقُل هذا الكلام للشعب؟ طبعًا لقد قيلَ هذا الكلام أيضًا للشعب لكن بغير وضوح، لأنه قال لهم: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ» (يو ٢:١٩). وأيضًا: «جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ.» (متى ١٢:٣٩). وأيضًا: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ، ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. سَتَطْلُبُونَنِي وَلاَ تَجِدُونَنِي» (يو ٧:٣٣-٣٤). أمّا التلاميذ فلم يكلّمهم على هذا المنوال. فكما كان يتحدّث اليهم بوضوح في أمورٍ أخرى، هكذا فعل هنا أيضًا.

لكن لماذا كان يقول لهم هذا طالما أنَّ الاكثريّة منهم لم تفهم معنى كلامه العميق؟ قال لهم هذا كلّه لكي يُدركوا لاحقًا، عندما سوف يحدث الأمر، انه قد سار نحو **الآلام** باختياره وبسابق معرفته دون أن يجهل ذلك أو يكون مدفوعًا من حاجة ما. لكنه لم يَقُل هذا الكلام لتلاميذه لهذه الغاية فقط إنّما، كما قلت سابقًا، **لكي يتهيّأُوا مُسبقًا** حتى يستطيعوا أن يتحمّلوا الآلام بسهولة اكبر وألّا يتزعزعوا الى حدّ أن يأتي الحديث بطريقة غير منتظرة بالكليّة. لذلك في البداية كان يتكلّم فقط عن موته، ولكن عندما أحسُّوا بذلك وتهيّأوا له بالطريقة المناسبة، عندها أضاف ما تبقّى كما على سبيل المثال: «انَّهم سوفَ يسلّمونه الى الأمم ويهزأون به ويجلدونه». قال هذا الكلام اذًا لهذه الغاية، حتى اذا مرّوا بأوقات صعبة بسبب تحقيق كلامه عن آلامه يصبرون مُجاهدين ومتوقّعين قيامته. طالما أنه لم يُخْفِ الصعوبات التي ستواجهه مع الاهانات الظاهرة، من الطبيعي ان يُصَدَّق كلامه عندما يتحدّث عن الامور السَّارة.

لكن، أرجوكَ، لاحظ كيف يتدبّر الأمور منذ ذلك الحين بطريقةٍ جميلة للغاية. فهو لم يَقُل كلماته هذه لهم من اللحظة الأولى حتى لا يزعزعهم، ولم يفعل ذلك عندما اقترب جدًّا من آلامه حتى لا يضطربوا. بل فعلَ ذلك عندما وَعَوا بدرجةٍ كافية قدرته، وفي الوقت نفسه كان يُعطيهم وعودًا من حينٍ الى آخر وفي مناسباتٍ كثيرة، رابطًا **كلامه عن الآلام** بالعجائب وبتعليمه.

يقول **إنجيلي آخر** إنّه يستشهد **بالأنبياء** عندما يتكلّم عن آلامه. «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ **مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ** عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ» (لو١٨:٣١). ويقول أيضًا إنَّ تلاميذه لم يفهموا كلامه، لأنَّ معناه كان مخفيًّا عليهم. «وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ هذَا الأَمْرُ **مُخْفًى عَنْهُمْ**، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ.» (لو ١٨:٣٤)، وأنَّهم كانوا يتبعونه خائفين. «وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ، وَكَانُوا يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ **كَانُوا يَخَافُونَ**.» (مر١٠:٣٢). رُبَّ سائلٍ: تُرى أَلم يستفيدوا شيئًا من نبوءته؟ فإن لم يفهموا كلامه، لن يكونَ لهم أيّ توقّع (لحدث الآلام)، وإن لم يَكُن لديهم توقّع لن يتروّضوا أيضًا على الرجاء (رجاء القيامة).

أمَّا أنا فاقول شيئًا آخر جديرًا بالتأمُّل وهو انهم إن لم يفهموا كلماته، فكيف إذًا نفسّر حزنهم على ما يذكره **أحد الإنجيليين**: **فَحَزِنُوا جِدًّا**. «وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. **فَحَزِنُوا جِدًّا**»؟ (متى ١٧:٢٣). كيف كان **بطرس** يقول: «...حَاشَاكَ يَارَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا!»؟ (متى ١٦:٢٢). ما هو الجواب الذي يمكن أن نقدّمه؟ كانوا يعلمون انه سوفَ يموت حتى وإن لم يكونوا في وضعٍ يستطيعون فيه ان يفهموا كُلّيًّا **سِرّ تدبير الله**، كما لم يفهموا قيامته بصورةٍ كاملة أو كُل ما كان ليجري فيما بعد. كُل ذلك كان بعدُ مخفيًّا لديهم، **لذلك بالضبط حَزِنُوا**. لقد رأوا اناسًا يقيمون الموتى، **{إيليا النبي توسّل لإقامة ابن أرملة صرفة صيدا «فَسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوْتِ إِيلِيَّا» وعادت روح الولد إليه، ثم نزل به إيليا وأعطاه إلى أمه (سفر الملوك الأول ١٧: ١٩-٢٤). «وعظام أليشع أقامت الميّت» (٢ملوك ١٣: ٢٠).}** لكنهم لم يروا أبدًا أحدًا يُقيم نفسه من الموت خاصّةً اذا كانت هذه القيامة أبديّة. لذلك وإن كلّمهم عن القيامة مرّاتٍ عديدة الّا انهم لم يكونوا في وضعٍ يسمح لهم بأن يفهموا كلامه بوضوح، ولا كانوا يفهمون شيئًا عن الموت، وما هو بالضبط وكيفَ سيحصل. لذلك كانوا يتبعونه مُعجبين، وأعتقد من جهتي أنَّهم كانوا مذهولين بحديثه عن **آلامه**.

لا شيء من كُل ذلك جعلهم يكتسبون مروءة بالرغم من كلامه المستمرّ عن قيامته، لأنه مع ذكر موته كانوا يضطربون عندما يسمعون انه سوف يُهزأ به ويُجلَد وما الى ذلك. عندما تذكروا العجائب التي صنعها والموتى الذين أقامهم والعجائب الأُخرى التي حصلت على يده، وسمعوا بالتالي كلماته هذه عن الآلام دُهِشُوا مفكّرين: هل باستطاعة ذاك الذي صنع كل هذه العجائب **أن يُعاني مثل هذه الآلام؟** لذلك كانوا متحيّرين يؤمنون حينًا ويضعف ايمانهم حينًا آخر، ولم يستطيعوا ان يفهموا كلماته. لقد وصل ضعفهم في عدم فهم أقواله بوضوح الى حدٍّ أن اقترب منه، مباشرة بعد كلامه عن الآلام، **ابنا زَبْدِي مع امهما** مناقشين اياه حول من سوف يجلس عن يمينه.

✻ **« حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ**

شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». (متى ٢٠: ٢٠-٢١).

في إنجيل مرقس يقول: «فدنا اليه يعقوب ويوحنا ابنا زَبْدِي قائِلَيْنِ: يا معلّم، نريد أن تصنع لنا مهما طلبنا ✻ فقال لهما: ماذا تريدان أن أصنع لكما؟ ✻ قالا له: أعطنا أن يجلس أحدنا عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك.» (مرقس ١٠: ٣٥-٣٧).

كيف يقول **الإنجيلي** متّى إن أُمّ ابني زَبْدِي اقتربت من **الرَّبّ**؟ طبعًا لقد حصل الأمران، لأنَّهما اتخذا أمهما وسيطةً بهدف دعم طلبهما، وبهذه الطريقة يمكن أن يستعطفا السيِّد. ما يؤيِّد كلامي في أنَّ الطلب يعود اليهما، وانهما استخدما أُمّهما بسبب الحياء هو طريقة إجابة **المسيح** على سؤلِهما. لكن الأفضل لنا أوّلًا ان نعرف ماذا يطلبان بالضبط، وبأي استعداد يطلبانه، وما الذي دفعهما الى ان يتصرّفا بهذه الطريقة.

ما هو دافع هذه المبادرة ؟ كانا يَرَيَان انهما ينعمان بالتكريم من قِبَل الناس الآخرين ويَرجُوانِ بسبب ذلك أن يُستَجاب لطلبهما. لكن ماذا كانا يطلبان بالضبط؟ اسمع **الإنجيلي الآخر** يعلن ذلك بوضوح إذ يقول: «...لأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ.» (لوقا ١٩: ١١). كانا يعتقِدان أنَّ **ملكوت الله** قريبٌ منهما **وأنّه جسّيّ**، وأن أيّ سوءٍ لن يصيبهما إن حصَلا على ما يطلبانه، لأنهما لم يطلبا **ملكوت الله** من أجل الملكوت بحدّ ذاته بل لكي يهربا من **المساوىء**. لذلك في البداية يُبعد **المسيح** عنهما هذه الافكار قائلًا لهما: أنَّه ينبغي لهما أن يواجها مذابح وأخطارًا وشَرَّ المساوىء.

✻ «فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا؟» قَالاَ لَهُ: «نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي» (متى ٢٠: ٢٢-٢٣).

لا يضطربنّ أحد من أنَّ حالة التلميذين الرُّوحيّة كانت ضعيفة للغاية، لأنَّ صَلْبَ **الرَّبِّ** لم يكُن قد تمَّ بعد، كما أنَّ نعمة الرُّوح القُدُس لم تَكُن بعد قد أُعطيت، إلَّا أنك ان أردت ان تتعرّف الى فضيلتهما فابحث عنهما بعد هذه الاحداث، وسوفَ تجدهما فوق كُل هوى وشهوة. لذلك **يُظهِر الرَّبّ** نواقصهما لكي ترى بالتالي كيف أصبحا بقوّة نعمة الله. لم يطلبا شيئًا روحيًّا، ولم تكُن لديهما اية فكرة عن **ملكوت السماوات**، وهذا يتضّح مما قلناه سابقًا.

فلنفحصْ نحنُ من جهتنا كيف اقتربا منه وماذا قالا:

«**يا معلّم، نريد أن تصنع لنا مهما طلبنا**» (مرقس ١٠: ٣٥). فأجابهما السيّد: «**ماذا تريدان أن أصنع لكما؟**» (مرقس ١٠: ٣٦). سألهما هذا لا لأنه يجهل طلبهما بل ليضطرهما ان يكشفا عن الجرح، وهكذا يستحضر العلاج. أمَّا هُما فقد امثلا خجلًا (**ماتا من شدّة الخجل**) لأنَّهما اتَّخذا هذه المبادرة انطلاقًا من شهوة بشريَّة، لذلك اخذاه على حِدة بعيدًا عن بقيّة التلاميذ وسألاه. ذلك لأنه يقول: «اقتربا منه قريبًا جدًا»، «**فدنا اليه يعقوب ويوحنا ابنا زَبْدِي**» (مرقس ١٠: ٣٥) حتى لا يسمعهما التلاميذ الآخرون، وقالا له ما يُريدان بحسب رأيي، كونهما سمعا «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي، فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ.» (متى ١٩: ٢٨). أخذا يريدان أن يرأسا هذا المجلس. وكانا يعلمان انَّ **الرَّبّ** يكرّمهما بصورة خاصّة امام التلاميذ الآخرين، لكنهما كانا يخافان من **بطرس**. لذلك قالا **للرَّبّ**: (بواسطة أمّهما) «**قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنِ الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ**». (متى ٢٠: ٢١). كانا إذًا يضغطان عليه قائِلَيْنِ مُرْ بذلك.

ماذا فعل **الرَّبّ**؟ حاوَلَ بجوابه ان يجعلهما يُدركان أنهما لا يطلبان شيئًا روحيًا، ولو عرفا ماذا يطلبان لما تجرّآ على ان يطلباه بهذه الطريقة. قال لهما: «**لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ**.» (متى ٢٠: ٢٢). لأنَّ طلبكما شيءٌ كبيرٌ للغاية، عجيبٌ هو ويفوق القوّات السَّماويّة ثمَّ أضاف:

«**أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي**» (متى ٢٠: ٢٣). أرأيتَ كيفَ حرَّرها من تلك الفكرة مُكلِّمًا إياهما بعكس طلبهما؟ فهو يقول: أنتما تتكلّمان عن الإكرام والأكاليل، أمَّا انا فأكلمكما عن جهادات وأعراق. **هذا الزمن ليس زمن جوائز ولا ينبغي الآن أن يظهر مجدي**. الوقت الحاضر وقت **ذبيحة حروب وأخطار**. لاحظوا كيف يحثّهما بسؤاله ويجذبهما! لم يَقُل لهما تستطيعان ان تُضحّيا بِنَفْسَيكُما أن تسفكا دمكما، بل قال: «**أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا**»؟ (متى٢٠: ٢٢). هكذا يجعلهُما يتعلّقان به أكثر فأكثر، ثُمَّ **يدعو آلامه معموديّةً** لكي يُظهر أن تطهير المسكونة الذي ينتج عن الآلام الحاصلة سوف يكون عظيمًا جدًّا.

قالا له «**نَسْتَطِيع**» هذا من غيرتهما. وَعَدَا للحال دون أن يَعرِفَا حتى معنى ما يقولانه. لكنهما أجابا رَاجِيَيْنِ ان يُستَجاب طلبهما. ماذا قال **الرَّبّ**: « الكأس التي اشربها سوف تشربانها، والمعموديّة التي سوفَ اصطبغ بها سوفَ تصطبغان أنتما بها». بهذه الكلمات تنبأ لهما عن خيرات عظيمة جدًّا، أي انهما سوف يؤهَّلان أن يَنالاهما أيضًا شهادته وموته، وسوفَ يُعانيان ما سيُعاني، لأنهما سيكملان حياتهما بالموت الشنيع فيصيران هكذا شركاء **لآلام الرَّبّ**.

«**وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ**

لَهُمْ مِنْ أَبِي» (متى ٢٠:٢٣). (مرقس ١٠:٤٠).

بعدما ملأ نفسيهما شجاعة وجعلهما يرتفعان روحيًّا حتى لا يستطيع الحزن أن يتسلَّط عليهما، يُصحِّح الآن طلبهما. لكن ماذا تعني بالنهاية **كلمات الرَّبّ** هذه؟ يقدِّم الكثيرون تفاسير مزدوجة: **التفسير الأوَّل** هو جواب على السؤال إن كان قد أُعِدَّ للبعض أن يجلسوا عن يمينه. **والتفسير الثاني** جواب على السؤال ان كان **الرَّبّ** ، سيِّد هؤلاء الذين أُعِدَّ لهم، لا يملك القدرة على أن يمنحهم هذا الامتياز. ماذا تعني إذًا **كلمات الرَّبّ؟** إن حللنا المسألة الأولى، تَسهُل الإجابة على الثانية. ما هو المعنى إذًا؟ لَن يجلس أحد لا عن يمينه ولا عن يَساره، لأنَّ عرشه لا يُقترب اليه من الجميع بصورة عامة. لا أقصُد فقط الناس والقديسين والرُّسل، بل أيضًا الملائكة ورؤساء الملائكة والقوّات السماويّة بأسرها على ما يُظهره **بولس** بتأكيده أنَّ الأمر لا يعرفه **إلَّا الابن الوحيد** بقوله: «ثُمَّ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ:«اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي...»؟ (عبرانيين ١ :١٣).

«وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ: الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحًا ... وَأَمَّا عَنِ الابْنِ: عَرْشُكَ يَا أَللهُ... » (عبرانيين ١:٧-٨).

لماذا اذًا يقول: «**وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ**» (متى ٢٠:٢٣)، وكأنَّ البعض جالسون هناك؟ لا يقول ذلك قاصدًا اشخاصِا معيّنين جالسين هناك. لا يَذكُر هذه الفكرة مُطلَقًا، بل يجيب عن سؤالهما **مُظهِرًا تنازلًا أمام روحانيتهما الضعيفة**، لأنَّهما لم يَعرفا بعدُ ذلك العرش الرَّفيع ولا جلوس **الابن عن يمين الآب**، كما كانا يجهلان في تلك اللحظة ما هو أدنى من ذلك بكثير بالرَّغم من سماعهما الأمر خارجًا من فمه كُلّ يوم. كانا يَطلبان شيئًا واحدًا: ان يتمتَّعا بالأولويَّة وبالتقدُّم على الآخرين، وألَّا يسبقهما احد **امام الرَّبّ**. كما ذكرتُ سابقًا، كان يتكلَّم أمامهما عن **اثني عشر عرشًا**، لذلك لم يفهما المعنى العميق لكلامه هذا فأخذا يُطالبان بالجلوس على المقاعد الأولى.

كلمات **السيِّد المسيح** لها المعنى التالي: سوفَ تموتان طبعًا من أجلي وتُذبَحان من أجل البشارة وتُعانِيان آلامي نفسها، لكن كُل هذا لا يكفيكما حتى تتمتّعا بالجلوس في الأماكن الأولى. فلو جاءني انسان ماتَ شهيدًا أو اكتسَب في حياته فضيلة تفوق فضائلكما بكثير، لن أخذله لمُجَرَّد محبَّتي لكما وتفضيلي إيَّاكُما على الآخرين. لن أردُل ذاكَ الذي يلمع من جرَّاء أعماله وأُعطيكما الأوَّليَّة. لم يَقُل لهما طبعًا هذا الكلام حتى لا يُحزنهما، بل قال: «**أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي**» (متى ٢٠:٢٣).

لكن لِمَن أُعِدَّ الجلوس عن اليمين؟ لأولئك الذين يستطيعون أن يصيروا مُمجَّدِين من جرَّاء أعمالهم. لذلك لَمْ يَقُل: «**ليس لي ان أعطيه، هو من صلاحية أبي**»، وإلَّا فَهِمَ السَّامع أنَّ **الرَّبّ** لا يستطيع ان يُعطي ذلك وأنه لا يملك قدرة على منح الصالحات. بل قال: «**فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي**» (متى ٢٠:٢٣).

حتَّى يَتَّضِح كلامي أكثر أشرحه مُتَّخِذًا المثل التالي: لنفترض أنَّ هناك انسانًا يدير سباقًا وأنَّ رياضيين كثيرين أتوا لكي يشتركوا في السِّباق، اثنان منهم معروفان جدًّا لدى المدير. هذان الأخيران، استنادًا الى عطفه وصداقته، اقتربا منه وطَلَبَاأن يتصرَّف بطريقة معيّنة لصالحهما لكي ينجحا وينالا النصر. لكن الرئيس قالَ لهما:

لا يَحِق لي أن أفعل ذلك، لأنَّ النَّصر سوفَ يناله هؤلاء **الذين أعدّوا له، الذين تَعِبوا وعرقوا من أجله**. هل باستطاعتنا بعد هذا القول أن ننسبَ إليه عدم القدرة؟ **طبعًا لا**، بل بالعكس، سوفَ نعترف انه عادلٌ وغير مُتَحَيِّزٌ.

لذلك لا نستطيع أن نقول إنَّ المدير ليسَ له القُدرة، كونه لم يعطهما الجائزة. هدفه ألَّا يلغي قانون السِّباق ولا يزعزع مسيرَة العدل. كذلك نستطيع ان نقول إنَّ **المسيح** جاء بكلماته هذه بهدف دفع تلميذيه بكل طريقة لِيُؤَسِّسَا رجاء خلاصهما وتقدّمهما على أساس الفضيلة وعلى إنجازاتهما الشخصيَّة التي تحصل **بعون الله ونعمته**. لذلك يقول: «**لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي**» (متى ٢٠:٢٣). ماذا يحصل لو جاء أُناس أفضل منكُما؟ إن قاموا بأعمال أعظم؟ أو تعتقدان انَّ كونكما تلميذيّ سوفَ تنعمان بالأوَّليَّة؟ إن لم تُبرهنا بذاتكما أنكما أهلٌ للاختيار؟.

من الواضح **أنَّ الرَّبّ هو سيِّد الكون** لأنه سوفَ يُدين الخليقة كلها، إذ يقول ما يلي **لبطرس**: «وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (متى ١٦:١٩). ويدلّ **بولس** على ذلك أيضًا عندما يقول: «وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا.» (٢ تيموثاوس ٤:٨). لقد ظهَرَ **المسيح** فعلًا للعالم ومن الواضح لَنْ يسبقَ أَحَدٌ **بولس**. ولا تعجبْ من **أنَّ الرَّبّ** قد كَلَّمَ تلاميذه بطريقة غير واضحة لأنّه كما قُلنا **أراد أن يُظهر تنازلَه الكامل**، أن يحفظهم بكلماته حتى لا يُزعجوه بطريقة غير لائقة وباطلة في موضوع الأوَّليَّة (الأمر الذي حصَلَ لهم من جرَّاء ضعفهم الانساني)، وَلم يُرِدْ من جهة أُخرى ان يُحزنهم فتكلَّم بغير وضوح للهَدَفَيْن المذكورَيْن سابقًا.

« **فَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ اغْتَاظُوا مِنْ أَجْلِ الأَخَوَيْنِ. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا**» (متى ٢٠:٢٤-٢٧).

«**لَمَّا**»: متى ذلك؟ عندما فاجأهم بكلامه. طالما أنَّ تفضيل التلميذَيْن على الآخرين كان قرارًا صادرًا **عن المسيح**، لم يتذمَّر الباقون. كانوا يرَوْن هذا التفضيل ويصمتون لأنّهم كانوا يحترمون المعلّم ويكرّمونه. حتى ولو انزعجوا في فكرهم، ما كانوا يتجرّأون على التعبير عن ذلك. ففي حالة **بطرس** عندما أعطاه الدرهمين – «وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى كَفْرَنَاحُومَ تَقَدَّمَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الدِّرْهَمَيْنِ إِلَى بُطْرُسَ وَقَالُوا:«أَمَا يُوفِي مُعَلِّمُكُمُ الدِّرْهَمَيْنِ؟» قَالَ:«بَلَى». فَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ سَبَقَهُ يَسُوعُ قَائِلاً:«مَاذَا

تَظُنُّ يَا سِمْعَانُ؟ مِمَّنْ يَأْخُذُ مُلُوكُ الأَرْضِ الْجِبَايَةَ أَوِ الْجِزْيَةَ، أَمِنْ بَنِيهِمْ أَمْ مِنَ الأَجَانِبِ؟» قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «مِنَ الأَجَانِبِ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«فَإِذًا الْبَنُونَ أَحْرَارٌ. وَلكِنْ لِئَلاَّ نُعْثِرَهُمُ، اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَّارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلاً خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدْ إِسْتَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ». (متى ١٧:٢٤-٢٧) – بالرغم من ظهور ضعفهم البشري لم يتذمَّروا، بل اكتفوا بالسؤال: «مَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟» (متى ١٨:١). لكن هنا يَصدر الطلب عن التلاميذ، لذلك أخذ الآخرون يتذمَّرون. لم يتذمَّروا للحال عند طَلب التلميذَيْن إذ فاجأهم **المسيح** وقال لهم: لن يتنعّما بالأوَّليَّة إن لم يُبَرهنا بنفسيهما انهما أهلٌ لذلك.

أرأيت كم كانت ضعيفةً روحانيةُ تلاميذه كلّهم حتى إنَّ الاثنين حاولَا ان يَفرِضَا نفسَيهما على العشرة الآخرين، والآخرون يحسدونهما. لكن، كما قلتُ سابقًا، أرجو منكَ أن تنظر اليهم بعد كُل هذا وتراهم **مُحرَّرين من هذه الأهواء كلّها**. اسمع اذًا كيف أنَّ **يوحنا** نفسه الذي يحاول الآن أن يُسيْطِر على الآخرين، سَيمنح في كُل مناسبة الأوَّليّة **لبطرس** في الكرازة وفي صُنع العجائب (أعمال الرُّسل ٣:١...). لا يخفي انجازاته بل يكرز باعتراف ايمانه هذا الذي كان يفعله والآخرون صامتون، وكذلك يذكر دخوله الى القبر ويُقدِّم **بطرس** على نفسه. كان الاثنان موجودين قُرب **الرَّبّ عند صَلبه**، ومع ذلك يتجنَّب مديح نفسه ويقول: «فَخَرَجَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا عِنْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ» (يوحنا ١٨:١٦). أمَّا **يعقوب** فلَم يَعِش وقتًا طويلًا، لكنه أظهَرَ منذ البداية ايمانًا حارًّا، وترك كُل الدنيويَّات، فوصَلَ الى علوّ فائق جعله ينال كأس الاستشهاد. هكذا وصَلَ الجميع لاحقًا الى درجاتٍ سامية من الفضيلة، إلَّا أنهم الآن يتذمّرون.

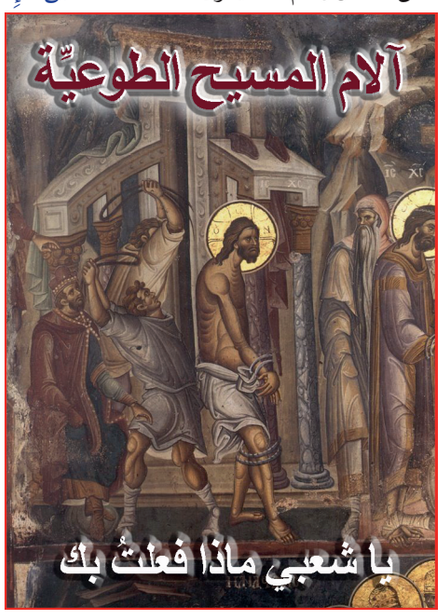

ماذا **فعل المسيح؟** « فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ.» (متى ٢٠:٢٥). لقد اضطربوا وخافوا، لذلك هو يهدّئهم. وقبل أن يكلّمهم دعاهم ليقتربوا منه، لأنَّ الاثنَيْن كانا قد انفَصَلا عن الباقين واقتربا جدًّا من **الرَّبّ** متكلِّمين معه على انفراد. لذلك دعا الباقين الى جانبه مُريدًا بهذه الطريقة أن يسخر من طلبهما ويفضحه أمام الآخرين مُداويًا بذلك هوى هؤلاء وأولئك. لم يُداوِ هواهم هذا في الوقت الحاضر كما فعل سابقًا. ففي الحالة السابقة أتى بالأولاد إلى الوسط وحثَّهم على التشبّه ببراءتهم وتواضعهم، أمَّا في الحالة الحاضرة، فيحثّهم بلهجةٍ قاسية وببراهين مُعاكسة قائلًا: «أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا» (متى ٢٠:٢٥-٢٧). يدلّ هكذا على أنَّ **من ميزة الأمم الوثنيّة أن يفتّشوا دائمًا عن الأوّليّة .**

في الواقع يتسلّط هذا الهوى على الرجال الكبار بصورة مستمرَّة ويزعجهم. لذلك بالضبط **يحتاج الى جرح أعمق**. يتقدَّم **يسوع** الى العُمق اكثر ويُهدّىء نفوسهم الغاضبة مُقدِّمًا مثل الأمم الوثنيّة، وفي الوقت ذاته يُداوي حَسَد البعض وتعظّم الآخرين قائلًا ما معناه: لا تتذَمَّروا وكأنَّكم قد شُتِمتُم، فالذين يُطالبون بالأوّليّة بهذه الطريقة يتأذون ويَحزون لأنّهم يُجعلون في مَصَفّ الآخِرين. تعاليمنا لا تشبه تعليم الوثنيين لأن رؤساء الأمم يسودون شعبهم بينما انسجامًا مع تعاليمنا، **الذي يَخدُم الآخرين هو الذي يستحق الأوّليّة**.

هذا الحديث ليسَ مُجرَّد كلمات لأنّكم تأخذون بُرهانًا عليه **من أعمالي وآلامي**. ولكن قد فعلتُ اكثر من ذلك، فبالرغم من كوني **ملك القوّات السّماويّة** إلَّا أنِّي أردتُ أن أصير انسانًا وقبلتُ أن يُزدَرى بي وأن أُشْتَم، ولم اكتَفِ بذلك بل وصلتُ الى الموت نفسه. لذلك يقول: «كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠:٢٨). لم أَقِف عند هذا الحدّ، بل أعطيتُ نفسي فديةً عن كثيرين. وَلِمَن قَدَّمتُ هذه التضحية؟ **من أجل أعدائي**. إن تواضعتَ أنتَ، فإنَّكَ تفعل ذلك من اجل نفسك، **أمَّا أنا فتواضعتُ من أجلك**.

لذلك لا تَخشَ، إن فعلتَ ذلك، أن تخسر من قيمتك، فإنْ تواضعتَ لن تستطيع ان تنزلَ الى مثل هذه الدرجة السُفلَى التي نزَلَ اليها **الرَّبّ**، لكن التواضعَ هذا أصبحَ سببًا لرفع الناس كلّهم وساهَمَ في أن يَشِعَّ **مجد المسيح**. قبل أن يُصبح إنسانًا، كان معروفًا فقط من الملائكة، لكنه عندما أصبَحَ انسانًا وصُلب، لم ينقص هذا المجد بل ازداد بمعرفة المسكونة كلّها له. فَلَا تَخَف اذًا من الفكرة انّكَ سوفَ تخسر من قيمتك ان تواضعت، لأنَّ **التواضع** يزيدك مجدًا فيُصبح مجدك أعظَم. **هذا هو باب ملكوت السموات**. فلا تَسلُكَنَّ الطريق العكسيّة، ولا تُجنِيَنَّ على أنفسنا لأنّنا إن أردنا ان نصيرَ عُظَماء لن نُصبح كذلك، بل على العكس سوفَ نكون أدنَى من الكلّ.

أرأيتَ كيف يعلّمهم في كُل ظَرف بالأمثال **المعاكسة** لكي يُعطيهم مشتهاهم! لقد أظهَرَ ذلك مرّاتٍ عديدة، فقد تصرّفَ هكذا في حالة حُبّ المال أو حُبّ المجد والسلطة. يقول: لماذا تصنع صدَقتكَ قُدّام الناس؟ أَلِكَيْ تحصل على مجد؟ لا تفعل ذلك تتنعّم بالمجد. لأي هدف تكنز كنوزًا على الأرض؟ أَلِكَيْ تغتني؟ لا تكنز لكَ كنوزًا ههنا تُصبح غنيًا هناك. كذلك قوله في الحالة الحاضرة: لماذا تتهوَّس للأوّليّة؟ أتُريد أن تتقدّم على الباقين؟ إختَر الصَّف الأخير، عندها تحصل على الأوّليّة. إن أردتَ أن تكون كبيرًا لا تُطالب بذلك، وعندها تصير كبيرًا لأنَّ مُطالبتك بالكِبَر تجعلك صغيرًا. ■

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الفصل العاشر – تتمة

فاستُقْبِلَ الزوّار بحفاوةٍ بالغة. وَعُرِضَ على **نكتاريوس** أن يضع التاج المصنوع من الألماس الذي كان يخصّ **الأمبراطور نيسيفورس فوكاس** الذي قضى بطريقة مأساويّة، وكان صديقًا **لأنستاسوس الآثوسي**. ولكن **نكتاريوس** رفَضَ. فقد كان كعادته يفضّل أفلونيته المتواضعة ويفتّش عن الوحدة والدراسة والسجدات والأسهار والصلاة. وكان يتكلّم قليلًا، ويَزِن كلامه جيّدًا، فتعطي كلماته دائمًا الصدى المطلوب. وكان يُراقب كُل شيء بصمت، وكان حاجبه الأيسر مائلًا قليلًا وأكثر كثافة من الآخر. إلّا أنَّ نظره كان يقرأ داخل النفوس، ويجبر الآخرين على خفض رؤوسهم بشيء من الاضطراب.

وقد دهش الجميع في البداية وتساءلوا: هل يحاول بهذه التصرفات أن يوثّر فيهم؟ ولكن لا، فإنَّهم يعرفون جيدًا الذين يتظاهرون بالقداسة، وهو لا يشبههم في شيء. كان **نكتاريوس** رجلًا آخر، من هؤلاء الأشخاص المختلفين الذين يحبّون الوحدة، وقد كُلِّفَ بالصدفة أو خطأ بإدارة المدرسة في وسط الضجيج والمدينة ...وقد زار «**كافسوكاليڤيا**» و «**كاتوناكيا**»، وهي مناسك مشهورة في **جبل آثوس** وهو بيت صلاة الإخوة دانيال، كاتبي الأيقونات، ويُقال إنَّهم يُصلُّون كالملائكة.

ملحوظة: القديس بورفيريوس الكافسوكاليفي أخذ مواهب فريدة قلّما أخذها قديس، **والقديس أفرام الكاتوناكي** وصل لدرجة من الإستنارة أنه كان يأخذ إعلانات وأجوبة كان يطرحها من السيّد يسوع المسيح مباشرة (المسيح كان يكلمّه)، وقد ظهر له فجأة ثلاثة أشخاص من أعلى وهم يقتربون نحوه وهي من الظهورات الفريدة ، قالها القديس أفرام وهو يبكي: لقد قبّلتُ الشخص الذي في الوسط، لقد قبلّت السيّد (المسيح). – انظر هذا اليوتيوب، فيه القديس أفرام يروي هذه الحادثة وهو مترجم بالإنجليزيّة :

https://youtu.be/FtruCiddee0

وكانت هذه الرحلة متعبةً جدّا بالنسبة الى **نكتاريوس**، لكنه لم يستطع مقاومة حُبِّهُ للتراتيل الرُّوميّة وأناشيد التوبة المخصّصة **لوالدة الإله**. وفي **كاتوناكيا** كان **الأخوة دانيال** المشهورون بكتابة الأيقونات قد حافظوا على كنوز التراتيل القديمة وتناقلوها أخًا بعد أخ. وكانوا يُنشدونها ملوّنين إياها كالملائكة، وبطريقة فائقة الوصف تُنعش القلب كالندى **الإلهي** المغبوط.

واشتهر بيت الصلاة هذا بضيافته التي تُذَكِّر **بأبينا إبراهيم**. وكان يعيش فيه اثنا عشر أخًا في الطاعة الكاملة والمحبة وبساطة العيش. وكانوا يُقيمون الخدمة الإلهيّة بكثير من الورع لدرجة أنَّ الزوّار كانو ينسون كُل ما حولهم ويرتفعون فوق الأرض وبعيدًا عن العالم المنظور، ويتمنّون البقاء هناك الى ما لا نهاية.

وتحت دير الأخوة دانيال وعلى بُعد عشر دقائق، كانت هناك الصخرة المخيفة المدعوّة **كارولي**، وهي صخرة تعلو عن سطح البحر حوالي مئة متر. وكانت الأمواج العاتية تبلّلها.

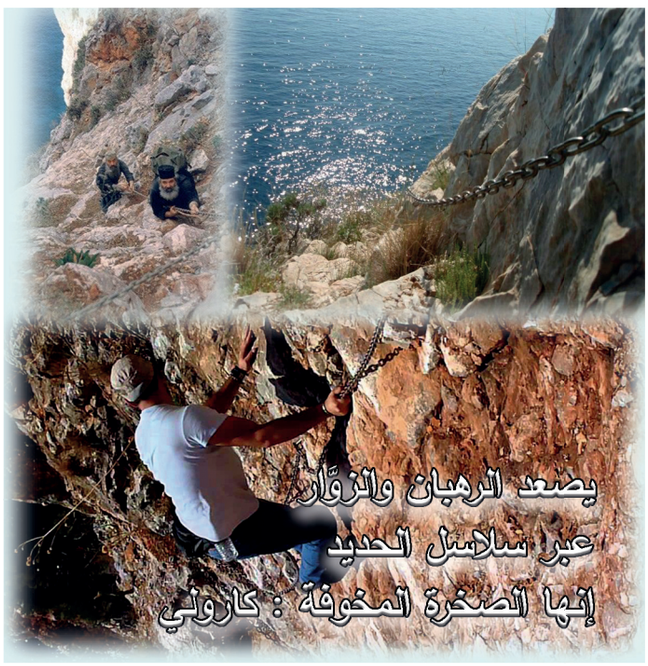

ولم يَعلَم الإخوة دانيال بزيارة **نكتاريوس**، ولم يكونوا يعرفونه. وقد حَضَرَ إليهم بقلنسوة الراهب العادية، وبجبّته القديمة التي كان يضعها عندما يعمل في حديقة المدرسة، وبجزمة الراهب. فكان يشبه أي راهب آخر في أثينا. فاستقبلوه كعادتهم بلُطف ابراهيم وطيبته. وقدّموا له التين الطازج والبندق والعسل البرّي. وفرحوا إذ عَلِموا بأنه سيبقى معهم ليشارك في الخدمة الإلهيّة.

التتمة جدًّا رائعة الرجاء المتابعة

يوم السبت العظيم ١٨ نيسان ٢٠٢٠ في تمام الساعة ١٢,٠٠ ظهرًا اجريت مراسيم **فيض النور المقدس** كما هو متّبع **حسب التقليد الكنسي للبطريركية الاورشليمية في كنيسة القيامة.**

غبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث نزل الى **كنيسة القيامة** في تمام الساعة ١٣,٠٠ ظهرًا من خلال الدرج من **كنيسة القديس يعقوب أخي الرَّب المؤدي الى كنيسة القيامة**، وبعد السجود في موقع انزال الجسد المقدس توجه الى كنيسة الكاثوليكون المقابلة للقبر المقدس وجلس على العرش البطريركي حسب تقليد البروتوكول الكنسي, ثم تقدم كل من ممثلي الكنائس القبطية, الارمنية والسريانية لاخذ بركة **غبطة البطريرك الاورشليمي** للاشتراك في مراسم **فيض النور المقدس** وأخذه فيما بعد من **يد البطريرك.**

بعدها خرج **غبطة البطريرك** ودار حول القبر المقدس ثلاث مرات، وبعد الدوره الثالثة وقف **بطريرك الرُّوم الأُرثوذكس** امام باب **القبر المقدس** المختوم وخلع الثياب الاسقفية ما عدا قميص الاستيخارة ودخل الى الغرفة الثانية حيث **القبر المقدس** ورافقه **ممثل الكنيسة الارمنية** الذي ينتظر دائمًا في الغرفة الأولى التي تسمى غرفة حجر الملاك، ثم أُقفِلَ باب **القبر المقدس** ليبدأ **البطريرك بتلاوة الصلاة الخاصة والطلبات لفيض النور المقدس**. حيث اشتعلت الشموع التي **بيدي البطريرك** بشكل عجائبي، أَعطى **النور المقدس** اولًا من الحجرة الجنوبية ثم خرج **البطريرك الاورشليمي بطريرك الرُّوم الأُرثوذكس** ممسكًا في يديهِ حزمة من الشموع عددها ٣٣ تمثل عمر **السيِّد المسيح على الارض** مضاءة **بالنور المقدس** الذي فاض **من القبر المحيي، ليعلن قيامة المخلص الرب يسوع المسيح وقُرعت اجراس كنيسة القيامة مُدَوِّيَةً.**

سيادة رئيس اساقفة اللد ذيميتريوس أوصل النور المقدس الى بوابة داود في البلدة القديمة ليتسلَّمَهُ **ممثلو السفارات والكنائس الأُرثوذكسية، ليتم نقله بطائرات خاصة.** وكذلك تمَّ تسليم **النور المقدّس** للرعايا الأُرثوذكسية التابعة للبطريركية في إسرائيل، الأردن، السلطة الفلسطينية وغزة ، هكذا تم إعطاء النور المقدس لممثلي الرعايا من كل منطقة . ومن الجدير بالذكر انه منذ سنة ٢٠٠٦ يتمّ توصيل النور المقدّس إلى سوريا ولبنان من خلال معابر **المملكة الأردنية الهاشمية.**

يدخل الزوار الحجاج كنيسة القيامة في أيامنا هذه عبر المدخل الوحيد المسمى بالباب المقدس. أبعاد هذا الباب نسبيًا كبيرة، حيث يتجاوز ارتفاعه الخمسة أمتار وعرضه الثلاثة أمتار. صُنع هذا الباب من خشب الجوز والصنوبر ودُعم من الداخل بألواح من الحديد. نُقشت على مقبضيه القديمين كتابات عربية. فعلى المقبض الأيمن كُتِبَ: «أيها الزوار، متعوا رغبتكم، ادخلوا إلى بهجة الرب، إلى السماء المضيئة... أُم الكنائس». وعلى المقبض الأيسر كُتِبَ: «أيها الغرباء ادخلوا إلى باحة الرَّبّ، إلى قبر الحياة حيث يعيش الفرح ويسود النور المقدس». بعد هذا المدخل في الاتجاه الشرقي، هناك باب آخر مماثل، أُغلق عام ١١٨٧. تشكل هذه المداخل مجموعة أبواب الكنيسة وتحاط بأحد عشر عمودًا من الرخام الأبيض والأخضر وعلى رأسها وُضعت التيجان الكورنثية (من طراز كورنثي).

على لوحة شبه دائرية فوق الباب المقدس كانت هناك لوحة منقوشه **لقيامة أَلِعازر**، دخول **يسوع المسيح** المجيد إلى أورشليم، **حوض الغسيل المقدس والعشاء السري**. هذه النقوش موجودة الآن في متحف روكفلر في أورشليم القدس. على لوحة المدخل المغلق كانت شعارات، وتحتها **أيقونة مريم العذراء المرصَّعة بالذهب**، والتي بقيتْ قائمةً حتى عام ١٨٠١ وهي أيضًا معروفة من حياة **القديسة مريم المصرية** .

قبل أن يدخل الزائر إلى الكنيسة يستطيع أن يرى على اليسار **العامود الأوسط** مع وجود صدع (شق) طويل في جزئه السفلي. ووفقًا للتقاليد في سنة ١٥٧٩م **مَنعت السلطات التركية بطريركَ الرُّوم الأُرثوذكس من الدخول إلى القبر المقدس في سبت النور**، ومنح **الطائفة الأرمنية** الدخول لتقوم بمراسيم فيض النور المقدس. فقام **بطريركَ الرُّوم الأرثوذكس** ولفيف من الأساقفة والكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات وجميع المؤمنين **بصلاة فيض النور خارج كنيسة القيامة**. فما أعظم أعمالك **يا رب**، **رغم محاولات بطريرك الأرمن اليائسة**، لم يُضئ النور المقدس في الضريح

المقدس ولا في أي مكان آخر في داخل الكنيسة. وبدلًا من ذلك انشقّ العمود الأوسط من الناحية اليسرى لباب الكنيسة الرئيس وفاض النور منه. **امير تونوم** شهد هذه المعجزة، ومن عجبه صرخ قائلًا: «عظيم هو إيمان اليونانيين»؛ وقد كلفه هذا الكلام حياته .

وحين بلغ **السلطان** خبرُ المعجزة أصدر مرسومًا (فرمان) مانعًا **بطريرك الكنيسة الرُّوميّة الأرثوذكسية** الحق الحصري ليقوم بمراسيم فيض النور المقدس. أما الأرمن فقد حافظوا بطبيعة الحال على تفسيرهم الخاص لهذه المعجزة (انشقاق العامود)، وهو أنه بقي في خارج الكنيسة بعض الحجاج الفقراء الذين لا يستطيعون تقديم المطلوب «التبرع»، وهكذا، فإنّ المساعدة والعناية الإلهية قد وفرت لهم النور المقدس من خلال شق العمود. ومن الجدير بالذكر **أنَّ الأرمن دفعوا إلى السلطان اموالًا طائلًا من الذهب** ليأخذوا الإذن بإقامة مراسيم فيض النور، ولكن عبثًا.

أنَّ الإيمان الرُّوميّ ألأرثوذكسي هو فعلًا الإيمان القويم والسليم غير المتزعزع، الذي يريده السيّد المسيح من جميع المسيحيين.

يبقى الباب المقدس في الليل مغلقًا، أمَّا المفاتيح فهي مع عائلة مسلمة مؤتمنة على مفاتيح الكنيسة ومحتفظة به وراثيًّا. إذا رغبت طائفة ما في فتح الباب المقدس لأداء خدمة أو لأسباب أخرى، فإنها تطلب من البوَّاب الذي بدوره يقوم بفتح الباب ويبقى هنالك حتى انتهاء الحدث وبعد ذلك يقفله ويغادر. لكن فتح الباب وإغلاقه بشكل رسمي يتم بحضور البوَّاب الأرثوذكسي، وهذا الشيء مُتَّبَع بعد اتفاق .

من يخاف **الله** لا يحتقر قانون الصوم. **إنّ الشَّيطان الخبيث** يكره فعل الحسنات، ويذهب إلى كلّ مسيحي مُحاولًا **ربطه بالكسل والإهمال** وإقناعه **باحتقار الصوم المقدّس**.

يُوَلِّد الصوم الصالحات الروحيّة ويساهم في خلاصنا. ولهذا علينا **ألَّا نسمع إلى عدو النفس، ولا نستسلم إلى شهوة النهم**، ونحاول ألَّا نُعيد **أخطاءنا القديمة**.

إنّ للصوم فوائدَ جمّة. إنّه طبيب النفوس. يهدّئ الغضب ويذلّل أهواء الجسد. يجلب الاستعداد لعمل الخير وينقّي الذهن ويحرّره من الأفكار الخبيثة. يروّض اللسان الجامح ويبعده عن الأقوال الكريهة غير الضرورية. يمنع أعيننا من متابعة الصور المضرّة والأمور العبثية.

يخفف الصوم رويدًا، رويدًا **تراكمات الخطايا** التي تغطي النفس. إنّ الصوم يبدّد **ظلام نفوسنا** كما أنّ الشمس تبدّد الضباب، وينقّي أعين نفوسنا ويكشف لنا شمس العدل؛ **يسوع المسيح**. يخفف الصوم المترافق مع الصلاة قساوة القلب ويعطينا التخشُّع والورع، فنجتاز **عاصفة وهيجان الأهواء** بسهولة بنعمة **الله** لنصل إلى ميناء الأمان.

هذا لا يمكنه أن يحدث في يوم أو في أسبوع، بل يحتاج إلى فضاء زمني مع تعب واجتهاد، ويعتمد على إرادة ورغبة كلّ إنسان للتخلص من الخطيئة، وعلى مقدار إيمانه وعمق توبته، وعلى حرارة الصلاة وتواترها.

من يبني حياته الروحيّة على أساس الصوم، فإنّ بناءه لن يتزعزع لأنّه يبنيه على صخرة صلبة. أما عندما **تغرينا الأفكار الخبيثة والرغبات الجسدية** لأهواء النفس، فهذه تهَدم كلّ بناء الفضائل. إذًا فَلْنبنِ صرح حياتنا الروحيّة على أساس صلب ألا وهو الصوم.

صامَ **يسوع المسيح** ٤٠ يومًا و ٤٠ ليلة قبل تنافسه **مع الشيطان** في الصحراء، ليسَ لأنه بحاجة إلى الصوم، **فهو الإله الكليّ القدرة**، بل لأنّه أراد أن يعلّمنا أن نتمثَّل به. فنحن البشر بحاجة إلى الصوم لنطرد **الشرير** عنّا. **كان نضال يسوع المسيح ضدّ الشيطان** مؤسسًا على **الصوم**، فليكن جهادنا هكذا نحن أيضًا.

هناك الكثير من الوسائط الروحية التي تساعد الإنسان في ترتيب حياته الروحيّة، ولكن أهمها وأساسها **هما الصوم والصلاة**. كانت **حنّة** تعبد **الله** بأصوام وطلبات ليلًا ونهارًا فصارت عظيمة في عينيّ **الله**. وعندما أرسلت كنيسة أنطاكية **بولس وبرنابا** للخدمة صاموا وصلّوا. ويقول **الرَّبّ عن الشياطين أنّ**: «هذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس ٩: ٢٩). إذًا فالصوم مقترنٌ بالصلاة ليكون مُستجابًا لدى **الله**. وهذه دعوة لنا لكي نصوم عندما تحثنا الكنيسة على الصوم فتكون صلاتنا طاهرة مقدّسة مقبولة لدى **الله**.

يعطي الصوم أجنحة الاشتهاء الإلهي بالصلاة وتمجيد **الرَّبّ** وتعلُّم أقواله: « لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (متى٤: ٤) .فلنُشبع ذواتنا يا إخوة **من الأقوال الإلهية للكتاب المقدس وتعاليم الآباء القديسين**.

يُوَلِّد الصوم أنبياء، ويجعل المشرّعين حكماء. هو كنز صالح للنفس، ويحثّ على التقوى. إنّ كثرة الطعام **تجرّ نوعًا من خيالات تشبه غيومًا سوداء تقطع** إستنارات الذهن **بالروح القدس**. إنْ كان للملائكة طعام فما هو إلَّا الخبز كما يقول **النبي**: «أَكَلَ الإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلاَئِكَةِ» (مز ٧٧: ٢٥). لا اللحم، لا الخمر ولا شيء آخر يشتهيه ذوو محبة البطن.

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

في العُمَّاد : المراسيم الافتتاحيّة

تتمة
العظة التاسعة عشرة

٩) – التوجّه الى الشرق والجهر بالإيمان

فأنتَ إذن عندما تكفر **بالشيطان**، تدوس بقَدَميكَ كُل ميثاق معه (اشعيا ٢٨:١٥)، **وتسحق الأحلاف المعقودة مع الجحيم**.

وعندئذ ينفتح أمامك فردوس الله الذي «غرَسَهُ في عدَن شرقًا» (تك ٢:٨)، وَطُرِدَ منه **أبونا الأوّل لعصيانه**. (تك ٣:٢٣). ورمزًا لذلك اتَّجهت من الغرب نحو الشرق الذي هو منطقة النور. وعندئذ طُلِبَ منك أن تقول: «أومن بالآب والابن والرُّوح القُدس ... وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا». وعن هذا الموضوع حدَّثَتْكَ العظاتُ السابقة حديثًا وافيًا بموهبة نعمة الله.

١٠) – ابقوا متيقّظين

فَلْتُثَبِّتكَ هذه الكلمات وابقَ متيقظًا، «اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ.» (١بطرس ٥:٨). لقد كان الموت، فيما مضَى، شديدَ البأس مفترسًا؛ ولكن الله، في غُسل الميلاد الثاني المقدَّس، مَسَحَ الدموع عن كُل الوجوه (رؤيا ٢١:٤ ؛ أشعيا ٢٥:٨). فأنتَ بعد الآن لن تكون أبدًا حزينًا، بما أنَّكَ خلعتَ **الإنسان العتيق**، بل ستكون فَرِحًا بعدما ارتديت ثوب الخلاص، يسوع المسيح. (روميه ١٣:١٤ ؛ غلا ٣:٢٧).

١١) – إعلان باقي العظات في الأسرار

هذا كُل ما حدث خارج مكان العماد. ولكن عندما ندخل، إن شاء الله، قُدس الأقداس في شروحاتنا القادمة للأسرار المقدّسة، ستتعلّم عندئذ معنى المراسيم التي تجري فيه. **فالله الآب المجدُ والمُلك والعظمة مع الابن والرّوح القُدس الى أبد الدهور. آمين.**

العظة العشرون
الثانية في الأسرار – في العماد

«أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ ... فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ.» (رومية ٦:٣-١٤).

١) – فائدة العظات في الأسرار

إنَّها لَكثيرة الفائدة هذه الشروحاتُ اليومية للأسرار؛ هذه التعاليم الجديدة التي تُبشِّر بحقائق جديدة، ولا سيّما لكم أنتم الذين تَجَدَّدوا بانتقالكم من الإنسان العتيق الى الإنسان الجديد. ولذلك يجب أن أُكَمِّل الشروحات في الأسرار التي بدأتها بالأمس، لكي تعرفوا ما كانت ترمز إليه المراسيم التي أَدَّيتموها داخل مبنى العماد.

٢) – خلعتم الرداء أي خلعتم الانسان القديم

حالما دخلتم خلعتم رداءَكم، وكانت هذه صورة لِخلعكم الانسانَ القديم مع كُل أعماله (كولوسي ٣:٩). وإذ خلعتم ثيابكم أصبحتم عُراة مُقتَدين بذلك **بالمسيح** الذي كان عاريًا على الصليب ، والذي بِعُريِهِ، «إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.» (كولوسي ٢:١٥). إذ بما أنَّ القوّات المعادية كانت تسكن في أعضائكم، فلم يَعُد من المسموح لكم أن تلبسوا هذا **الرداء العتيق**. إنِّي لا أتحدَّث عن هذا الثوب الذي يقع تحت الحواس، بل عن « الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ.» (أفسس ٤:٢٢). فعلى النفس التي خلعته ألَّا تستردّه ثانية، بل لِتَقُل مع عروس نشيد الأناشيد: «خَلَعْتُ ثَوْبِي، فَكَيْفَ أَسْتَرِدُّهُ؟» (نشيد ٥:٣). يا لَلعَجَب! إنكم ظهرتم عُراة أمام أعيُن الجميع ولم تخجلوا، لأنَّكم تمثّلون فعلًا صورَة الأب الأوَّل آدم الذي كان عاريًا في الفردوس بدون أن يخجل. «وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.» (تك ٢:٢٥).

من أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم

«إذا لبسنا المسيح، فلن يتخلّى عَنَّا أبدًا بل يُظهر حضوره عبر قداسة وعبر وداعة لا تخيب أبدًا»

(حول الرسالة الى اهل رومة، العظة ٢٤:٤).

«أعطاكَ المسيح من الوسائل ما يؤهّلك لتصير شبيهًا به. فلا تجزع من الاقتداء به، بل اجزع، بالعكس، مِنْ ألَّا تصير شبيهًا به»

(حول إنجيل متى، العظة ٧٨:٤).